المبحث الثاني
الدروس التربوية والأخلاقية

١ ـ الوفاء بالعهد:

يقول أ/ عبَّاد: «ما أعظمك يا رسول الله! إنك لا تترك شاردة ولا واردة ولا تلهيك عظائم الأمور ولا الصغير منها ولا يشغلك سلم أو حرب ـ على أن تضع كل شيء في موضعه، وأن تترك ما أمرت به إن كان الأصوب في غيره، فأنت تعقد لواء المسلمين الرئيس وتعطيه لعلي بن أبي طالب ﷺ ثم تأخذه وتدفعه لمصعب بن عمير العبدري ﷺ وفاء بالعهد الذي أخذته قريش في الجاهلية بتحديد بني عبد الدار لحمل اللواء، علمًا بأن مصعب بن عمير ﷺ لن يحزن ولن يغضب ولا أحد من الصحابة ﷺ سيُعَلِّق على هذا بشيء، ولكنها عظمة القائد ويقظة المعلم وتوجيه المربي وحنكة السياسي؛ لأن الوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين: قوة ذاكرة وقوة عزيمة، وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتًا شاسعًا في هذا الأمر، فقد يكون ثمن الوفاء فادحًا، ولكنه مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة، وقد ربى الإسلام أفرادًا بلغوا في وفائهم بالعهد مبلغًا لم تبلغه البشرية إلا في ظله: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾[الإسراء]». [مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٦٣].

٢ ـ شجاعة وبطولة الجنود:

يقول أ/ فتح الباب: «واستعد الفريقان للقتال، وكل يحرض رجاله، فأما قريش فتذكر بدر وقتلاها، وأما المسلمون فيذكرون الله ونصره، والرسول ﷺ يخطب ويحض على القتال ويَعِدُ رجاله النصر ما صبروا.

ثم نشبت الحرب، وأبلى أبو دجانة ﷺ وحمزة بن عبد المطلب ﷺ عم الرسول ﷺ وعلي بن أبي طالب ﷺ بلاء حسنًا، وهم من أعظم أبطال العرب وشجعانهم، ثم كان مقتل حمزة سيد الشهداء ﷺ، قتله وحشي الحبشي بتحريض من هند بنت عتبة التي خرجت في جمع من النسوة مع المشركين يحركنهم إلى الثأر، وكانت هند أشدهن حُرقة لمقتل أبيها وأخيها منذ عام في بدر، فوعدت وحشيًّا بعِتْقه إن قتل حمزة، ولم يَفُتُّ مصرع حمزة ﷺ عَضُدَ المسلمين، ولا ثنى من عزمهم بأس المشركين وكثرة عددهم، بل حملوا عليهم حملة رجل واحد حتى تراجع أبطال قريش، وهم مضرب أمثالهم في الشجاعة والإقدام، وقُتل أصحابُ لواء قريش واحدًا بعد الآخر، فانكشف المشركون منهزمون لا يلوون على شيء حتى أحيط بنسائهم، وحتى وقع الصنم الذي احتملوا يتيامنون به من فوق الجمل الذي كان يحمله، ومن خلال الهودج الذي كان يحويه». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٦٨].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف بطولية لعدد من الصحابة ﷺ:

الأول: موقف علي بن أبي طالب ﷺ الذي قتل طلحة بن أبي طلحة العبدري مبارزة، وكان مشهورًا بالشجاعة، وهو كبش الكتيبة الذي جاء في رؤيا النبي ﷺ السابقة، وكان قَتله فاتحة خير على المسلمين حيث فرحوا بذلك وهجموا على أعدائهم.

الثاني: مواقف الصحابة الآخرين الذين تتابعوا على قتل حملة اللواء، وقد تبين لنا من هذه المواقف شجاعة حمزة بن عبد المطلب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وبراعة سعد بن أبي وقاص وعاصم بن ثابت ﷺ في الرماية.

وهذا التركيز الجيد من هؤلاء الصحابة على قتل حملة لواء المشركين كان المقصود منه تحطيم معنوية المشركين وإحداث الخلل في صفوفهم إذا سقط لواؤهم». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٦**].

ويقول د/ أبو فارس: «وهكذا جندل أبطال المسلمين من قادة المشركين حملة اللواء، ولم يوجد من يحمله من الرجال حتى حملته امرأة.

ولما قُتل أصحاب اللواء تفرق المشركون وتمزق شملهم، وانهارت معنوياتهم، وانهارت قواهم، أمر النبي ﷺ بمهاجمتهم، وتوجيه الضربات القاصمة لهم، وهذا يدل على البراعة العسكرية من الرسول ﷺ، إذ استطاع أن يوهن قدرتهم عن القتال ثم يشن عليهم هجومًا معاكسًا، فأزالهم عن أمكنتهم، وولوا مدبرين، فارين وقد تركوا أموالهم ونساءهم.

وقفة تأمل: وقد يقع تساؤل في نفس القارئ الكريم هو لِمَ لَمْ يخرج إلى طلحة بن أبي طلحة العبدري المشرك من يبارزه من المسلمين فور طلبه المبارزة؟

هل كان المسلمون خائفين من نزاله؟

أين علي بن أبي طالب ﷺ؟ أين أبو دجانة سماك بن خرشة ﷺ؟

أين طلحة بن عبيد الله ﷺ؟ أين الزبير بن العوام ﷺ؟ أين الأبطال المغاوير؟

إن الذي وقع في نفسي وانقدح في قلبي أن هذا البطء في الرد لم يكن جبنًا ولا خوفًا عند هؤلاء المغاوير من الصحابة الذين كانوا يتمنون الشهادة في سبيل الله، بل كان البطء منهم لأن الرسول ﷺ قد أمرهم ألا يقاتلوا حتى يأمرهم أو يأذن لهم، وكأني بالصحابة رضوان الله عليهم وقد نزل أبو طلحة بن أبي طلحة العبدري المشرك وحامل لواء المشركين يطلب المبارزة، وقفوا مستعدين أعناقهم تشرئب للتصدي لهذا المشرك، وانتظروا على أحر من الجمر إذن رسول الله ﷺ لهم بمبارزة طلحة وغيره، فما هي إلا لحظات إلا ويأذن رسول الله ﷺ أول ما يأذن إلى علي بن أبي طالب ﷺ، فخرج علي بن أبي طالب ﷺ يتصدى لهذا المشرك ويقضي عليه، ثم يأذن النبي ﷺ لسائر الصحابة بالقتال فانبروا

يحصدون رؤوس حملة اللواء واحدًا واحدًا حتى أجهزوا عليهم وتمرغ اللواء وتلطخ بالدم والطين، ولاذ الرجال المشركون بالفرار». [غزوة أُحد لأبي فارس ٧٤-٧٥].

بطولة أبي دجانة ﷺ: يقول الشيخ عرجون: «أخرج مسلم والإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ، والطبراني عن قتادة بن النعمان، وابن راهويه، والبزار عن الزبير ﷺ، قالوا: عَرَضَ رَسُولُ الله ﷺ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَخَذَهُ رِجَالٌ، فَجَعَلُوا يَنْظُرُون إِلَيْهِ وَيَبْسِطُونَ أَيْدَيَهُمْ رَغْبَةً فِي أَخْذِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟**»، فَأَحْجَمَ القَوْمُ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ، فِيهِمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَالزُّبَيْرُ، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتَّى قَامَ إِلَيْهِ أَبُو دُجَانَةَ ـ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ ﷺ ـ فَقَالَ: وَمَا حَقُّهُ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْ تَضْرِبَ بِهِ فِي وَجْهِ العَدُوِّ حَتَّى يَنْحَنِي، وَلَا تَقْتُلَ بِهِ مُسْلِمًا، وَلَا تَفِرَّ بِهِ عَنْ كَافِرٍ**»، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ ﷺ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ يَا رَسُولَ الله، فَأَعْطَاهُ لَهُ[1].

وهذا الحوار المستطلَع لخفايا النفوس يمثل لونًا من ألوان الفراسات النبوية الصادقة، وتوسمات القيادة العليمة المعلِّمة، وفي ذلك من معالم التربية القيادية في مجال المعارك لإظهار أسرار الرجال درس تربوي يجب على القادة أن يتعلَّموه ويعملوا به.

وكان أبو دجانة ﷺ رجلًا شجاعًا جريئًا، لا يهاب الموت، وكان إلى جانب ذلك ميمون النقيبة في الحرب إذا خاضها مشى في حومتها متخايلًا تيَّاهًا يتبختر في مشيته، فلما أخذ سيف رسول الله ﷺ مشى مشيته، فرآه رسول الله ﷺ وهو يتخايل فقال ﷺ: «**إِنَّ هَذِهِ لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلا فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ**».

بطولة أبي دجانة ﷺ يرصدها الزبير ﷺ: وقال الزبير بن العوام ﷺ ـ وهو من صناديد أبطال الإسلام ـ: «وَجِدْتُ فِي نَفْسِي ـ أي تأثرت في شيء من الغضب الحزين ـ حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعْنِيهِ وَأَعْطَاهُ أَبَا دُجَانَةَ، وَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، وَمِنْ قُرَيْشٍ، وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهُ إِيَّاهُ قَبْلَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِي، وَالله لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهُ حَمْرَاءَ، فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ فَقَالَتْ الأَنْصَارُ: أَخْرَجَ أَبُو دُجَانَةَ عِصَابَةَ المَوْتِ، وَهَكَذَا كَانَتْ تَقُولُ لَهُ إِذَا تَعَصَّبَ بِهَا، فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ.

وعند الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ المُشْرِكِينَ.

وَكَانَ فِي المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ لَنَا جَرِيحًا إِلَّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ، جَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدْنُو مِنْ صَاحِبِهِ، فَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُمَا، فَالْتَقَيَا، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المُشْرِكُ أَبَا دُجَانَةَ فَاتَّقَاهُ بِدَرَقَتِهِ فَعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وَضَرَبَهُ أَبُو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْهَا.

وكانت تحمِّس الناس حمسًا شديدًا، تحرضهم على القتال وتغريهم بإشعال نار الثأر لقتلى بدر، فلما حمل عليها أبو دجانة ولولت مستغيثة، قَالَ أَبُو دُجَانَةَ: فَأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأَةً.

[السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٨-٦٩].

---

(١) قلت: لم أجده بهذا اللفظ والتفصيل فيما بين يدي من مراجع السنة والسيرة. غريب.

وقال الزبير ﷺ في رواية أخرى: خَرَجَ أَبُو دُجَانَةَ بَعْدَمَا أَخَذَ السَّيْفَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَفْرَاهُ وَهَتَكَهُ، حَتَّى أَتَى نِسْوَةً فِي سَفْحِ الجَبَلِ، وَمَعَهُنَّ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَة، وَهِيَ تُغَنِّي تُحَرِّضُ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: فَحَمَلْتُ عَلَيْهَا فَنَادَتْ بِالصَّحَرَاءِ، فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا، فَقُلْتُ لَهُ: **كُلُّ صَنِيعِكَ رَأَيْتُهُ فَأَعْجَبَنِي غَيْرَ أَنَّكَ لَمْ تَقْتُلِ الْمَرْأَةَ؟! قَالَ: فَإِنَّهَا نَادَتْ فَلَمْ يُجِبْهَا أَحَدٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَضْرِبَ بِسَيْفِ رَسُولِ الله ﷺ امْرَأَةً لَا نَاصِرَ لَهَا.** [مجمع الزوائد ٦/ ١٥٦ كتاب المغازي والسير (١٠٠٦٩)، وقال الهيثمي: رواه البزار [مسند البزار ٣/ ١٩٣ رقم ٩٧٩] ورجاله ثقات].

هذا لون من الشجاعة النفسية والبدنية منسوج بخيوط من الجراءة العارمة، وكان هذا اللون معروفًا لصاحبه بطل الإسلام أبي دجانة الأنصاري يعرفه هو من نفسه، ويعرفه له قومه الأنصار، له معالم عندهم، يتخذها وشُهر بها، وعرفها له قومه، وصاحب هذه الشجاعة البطولية يزينها بالنخوة والمروءة، فلا يصب نيرانها على ضعيف لا ناصر له، ولا سيما إذا كان سلاحه في هذه الشجاعة مشرَّفًا، خُصَّ به دون سائر أبطال الإسلام وشجعانه؛ ولهذا أبت عليه نخوته البطولية، ومروءته الإسلامية أن يقتل بسيف رسول الله ﷺ امرأة صاحت تطلب الصريخ، وتستصرخ مستغيثة إذ رفع السيف على رأسها تطلب النصراء فلا تجد نصيرًا، لكنه فلق به هامات الأبطال المشركين، فكان لا يَلقى جمعًا منهم إلا فضَّه، ولا يعرض له بطل من أبطالهم إلا جعله كأمس الدابر.

معرفة رسول الله ﷺ بأقدار الرجال وخصائصهم: وكان رسول الله ﷺ يقدِّر هذه الصفات البطولية في أبي دجانة، ويعرف له حقَّه فيها، إذ لم تكد الحرب في أُحد تزأر بالأبطال ويتنادى أُسدها باللقاء حتى عرض رسول الله ﷺ سيفًا كان في يده ونادى في أصحابه: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**» فاستشرف له جماعة من خاصَّة أبطال الجهاد في الإسلام، وجعلوا ينظرون إلى هذا السيف الذي تخيَّره رسولُ الله ﷺ ليعرضه عليهم ويثير في نفوسهم حميَّة بطولية الجهاد لإعلاء كلمة الله، نظر تفحص وتطلع إلى سرِّه الذي جعل رسول الله ﷺ ينادي عليه بين أصحابه، فيطلبه أبو بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما، ويطلبه معهم الزبير بن العوام ﷺ، ابن عمة رسول الله ﷺ القرشي، وهو أشهر في شجاعته البطولية شهرة ملأت أرض الإسلام، فيُعرض عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات.

وإذا بأبي دجانة سماك بن خرشة الأنصاري ﷺ، يسأل رسول الله ﷺ عن حقِّ هذا السيف المغلَّف بالأسرار، فيجيبه النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تَضْرِبَ بِهِ العَدُوَّ حَتَّى يَنْحَنِيَ**»، ومعنى هذا أن حق هذا السيف شجاعة تملك على من يأخذه ليحارب به المشركين مشاعره ومعالم بطولته، وكرَّة على العدو، فيضرب به في صفوفه ضربًا متواصلًا، يفري به الهامات لا يكل ولا يعيا حتى ينحني السيف في يده.

وكان أبو دجانة ﷺ أصدق وفاء بوعد رسول الله ﷺ، فأدى حق السيف الذي خصَّه به رسولُ الله ﷺ دون أكابر أصحابه وأبطالهم، وهذه الميزة التي ظفر بها أبو دجانة ﷺ وإن كانت لا تدل على تفضيله

على من استشرفوا للسيف متطلِّعين إلى أخذه، والنبي ﷺ يُعرض عنهم، وفيهم ابن عمته الزبير بن العوام ﷺ، وهو مَنْ لا تُنكر بسالته وشجاعته وبطولته في جهاد الإسلام، لكنها تدل على فضله وشجاعته في معامع الوغى.

الزبير ﷺ ينظر ما يصنع أبو دجانة ﷺ بسيف رسول الله ﷺ الذي آثره به فيرى بطولته فيعلم حكمة إيثاره على غيره: وقد تأثر الزبير ﷺ من إعراض النبي ﷺ وهو يطلب منه السيف ثلاث مرات، فيأبى عليه ﷺ إعطاءه إياه، كما أبى إعطاءه غيره من الذين استشرفوا لأخذه، وفيهم أبو بكر وعمر ﷺ، وفيهم يعسوب الإسلام علي بن أبي طالب ﷺ، وثلاثتهم في مكانتهم من رسول الله ﷺ ومن المجتمع المسلم مَنْ لا يُنكر فضلهم في مواقف البطولات.

ولما رأى الزبير ﷺ هذا الصنيع من رسول الله ﷺ ـ وهو يعلم أن رسول الله ﷺ لا يصنع شيئًا إلا لِحكمة ـ قال: والله لأنظرنَّ ما يصنع أبو دجانة، فاتبعه فجعل يفلق هام المشركين بالسيف، ولا يَلقى مشركًا إلا علاه بالسيف فقضى عليه، فعرف الزبير ﷺ حِكمة اختيار رسول الله ﷺ أبا دجانة بطلًا لسيفه وتمييزه به دون سائر أصحابه ﷺ». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٨٨-٥٩٢**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

أولًا: ما قام به النبي ﷺ من شحذ الهمم والتحريض على القتال بصورة مؤثرة حيث رفع السيف فقال: «**مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟**»، فكان من نصيب أبي دجانة سماك بن خرشة ﷺ، وكان من آثار ذلك أن عصب رأسه بعصابة الموت معلنًا أنه سيبذل كل طاقته في القتال، ثم كان منه ما ذكره الزبير بن العوام وقتادة بن النعمان ﷺ، وذلك بما قام به من التنكيل بالأعداء والإثخان فيهم.

وهكذا يضرب رسول الله ﷺ مثلًا عاليًا للقادة من بعده في محاولة استخراج كل الطاقات الكامنة في النفوس والاستفادة منها في قضايا الدعوة والجهاد، والتشهير بذوي البأس والنجدة ليتأسى المسلمون بهم، وإنزال الناس منازلهم في الإشادة بما لديهم من مواهب، وعدم مجاملة الآخرين وإن كانوا يقاربونهم في هذه المواهب أو يتفوقون عليهم في مواهب أخرى، أو يشاركونهم في نفس المواهب، ولكن الموطن يتطلب أناسًا بأعيانهم لهم أثر في استجاشة المشاعر وإلهاب الحماس، وهكذا كان مقام أبي دجانة ﷺ في قومه وأثره في الحرب، وإن كان الزبير وعلي لا يقلان عنه بأسًا ونجدة ﷺ.

ثانيًا: اشتمل هذا الخبر على مواقف بطولية لأبي دجانة ﷺ حيث فتك بالأعداء وتعرض لذوي البأس منهم، ولقد حقق بهذه المواقف العالية أمل النبي ﷺ فيه حينما اختصه بذلك السيف».

[**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١١٢-١١٣**].

٣ ـ ما يُستفاد من قصة أبي دجانة ﷺ:

يقول د/ أبو فارس: «ولنا ملاحظات حول هذه القصة:

(١) يلوح لي ـ والله أعلم ـ أن النبي ﷺ فعل هذا تشجيعًا للمسلمين، وحضهم على قتال عدوهم، وإذكاء روح المنافسة في الجهاد عندهم، رفعًا لمعنوياتهم القتالية.

(٢) ويؤخذ من هذا أيضًا جواز المنافسة في الجهاد، وإظهار الذين أبلوا بلاء حسنًا، والاعتراف بجهودهم وجهادهم.

(٣) أن إعطاء السيف لأبي دجانة ﷺ دون غيره من الصحابة يدل على شجاعته وثباته ﷺ، وما كان النبي ﷺ، يؤمل عليه من إلحاق النكاية بالعدو تقتيلًا وتشريدًا.

(٤) لقد قام أبو دجانة ﷺ بما اشترط عليه الرسول ﷺ، حيث ضرب بالسيف حتى انحنى، وصار كالمنجل.

(٥) يجوز للمسلم المقاتل أن يُظهر قوته وشجاعته في ساحة المعركة أمام عدوه لإرهابه والتأثير على نفسيته القتالية، كما فعل أبو دجانة ﷺ وأقره النبي ﷺ على ذلك.

(٦) يجوز للمسلم المقاتل أن يُعلم نفسه بعصابة أو بغيرها يتميز بها عن غيره».

[غزوة أُحد لأبي فارس ٦٦].

٤ ـ الأخلاق العالية لحذيفة بن اليمان ﷺ:

«يا لإيمان حذيفة، يا لعتاب حذيفة، والده المؤمن المجاهد تقطعه السيوف، فلا يتلفظ بكلمة نابية، ولا حتى بعتاب مجروح، تنهد قائلًا: غفر الله لكم، ذرفها حذيفة كالدموع وهو يرى حبيب قلبه، وصديقه ووالده الحنون يهوي بسيوف أحبابه خطأ، إن لحذيفة إيمانًا صافيًا كأنهار الجنة، رحم الله حسيلًا، ورحم الله الرماة، ورضي الله عنهم جميعًا». **[السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢١٦].**

٥ ـ خطورة التنافس والحرص على الدنيا:

يقول الشيخ المدري: «وهذه الغزوة تعلمنا كذلك خطورة إيثار الدنيا على الآخرة، وأن ذلك مما يفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده.

وفي ذلك درس عظيم يبين أن حب الدنيا والتعلق بها قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فآثروها على ما عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه وأن يفتش في خباياها، وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينها وبين الاستجابة لأوامر الله ونواهيه».

[غزوة أحد للمدري ١٣-١٤].

ويقول د/ الصلابي: «وقد وردت نصوص عديدة من آيات، وأحاديث، تبين منزلة الدنيا عند الله وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من الحرص عليها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقد حذر الرسول الكريم ﷺ أمته من الاغترار بالدنيا، والحرص الشديد عليها في أكثر من موضع، وذلك لما لهذا الحرص من أثره السيء على الأمة عامة وعلى من يحملون لواء الدعوة خاصة، ومن ذلك:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ: «**لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**». [مسلم (٢٧٤٢)].

ويظهر للباحث أثر الحرص على الدنيا في غزوة أُحد». [السيرة النبوية للصلابي ٢/ ١٦٠].

وروى الطبري عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ الرُّمَاةُ: أَدْرِكُوا النَّاسَ وَنَبِيَّ الله ﷺ، لَا يَسْبِقُوكُمْ إِلَى الْغَنَائِمِ فَتَكُونَ لَهُمْ دُونَكُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُرِيمُ حَتَّى يَأْذَنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقَالَ عَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى نَزَلَ فِينَا يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقَالَ الطَّبَرِيُّ: «يَعْنِي جَلَّ ثناؤُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الَّذِينَ تَرَكُوا مَقْعَدَهُمُ الَّذِي أَقْعَدَهُمْ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ فِي الشِّعْبِ مِنْ أُحُدٍ لِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَحِقُوا بِمُعَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ طَلَبَ النَّهْبِ إِذْ رَأَوْا هَزِيمَةَ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: الَّذِينَ ثَبَتُوا مِنَ الرُّمَاةِ فِي مَقَاعِدِهِمُ الَّتِي أَقْعَدَهُمْ فِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ، مُحَافِظَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ الله مِنَ الثَّوَابِ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَالدَّارَ الْآخِرَةَ». [تفسير الطبري ط هجر ٦/ ١٣٩-١٤١].

وذكر ابن الجوزي ﷺ أن من أسباب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران] أنها نزلت في الذين تركوا أماكنهم

يوم أُحُد طلبًا للغنيمة وقالوا: نخاف أن يقول النبي ﷺ: (من أخذ شيئًا فهو له)، فقال لهم النبي ﷺ: **(ألم أعهد إليكم ألا تبرحوا؟! أظننتم أنا نغل)**، فنزلت هذه الآية.

[زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢/ ٤٩ ـ دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م].

والمراد تنزيه ساحة النبي ﷺ على أبلغ وجه عما ظن به الرماة يوم أُحُد، فالرماة حين تركوا المركز يومئذ طلبًا للغنيمة قالوا: نخشى أن يقول النبي ﷺ: من أخذ شيئًا فهو له، وألا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر، فقال النبي ﷺ: **(أظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم)**، ولهذه نزلت الآية.

[تفسير الآلوسي ٤/ ١٠٩ ـ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ د.ت].

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني الغنيمة، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما شعرنا أن أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أُحُد.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ وهم الذين ثبتوا في مركزهم، ولم يخالفوا أمر نبيهم ﷺ مع أميرهم عبدِ الله بن جبير رضي الله عنه فحمل خالد بن الوليد وعِكرمة بن أبي جهل عليه، وكانا يومئذ كافرين فقتلوه مع من بقي، رحمهم الله.

والعِتاب مع مَن انهزم لا مع مَن ثبت، فإن من ثبت فاز بالثواب، وهذا كما أنه إذا حل بقوم عقوبة عامة فأهل الصلاح والصبيان يهلكون، ولكن لا يكون ما حل بهم عقوبة، بل هو سبب المثوبة. والله أعلم. [تفسير القرطبي ٤/ ١٥٣].

ويقول ل/ فرج: «بدأت معركة أحد وقَتَلَ أبطالُ الإسلام حَمَلَةَ لواء قريش في مرحلة القتال الأولى، ثم بدأت مرحلة الاشتباك الفعلي، ونجحت قوات المسلمين في هزيمة المشركين، وفجأة تبدل الأمر، واختلت موازين المعركة، وقد أدى إلى هذا الموقف:

ـ ترك الرماة الذين وضعهم رسول الله ﷺ فوق الجبل أماكنهم.

ـ إدراك خالد بن الوليد ـ وهو قائد فرسان المشركين ـ لأهمية الجبل، فظلت عينه عليه حتى وهو ينسحب من المعركة، فلما رأى رماة المسلمين يتركون مواضعهم، قام بحركة التفاف سريعة وهاجمهم من الخلف.

ـ شَغل المسلمون أنفسهم بالغنائم، وتناسوا ـ للحظات ـ أن القتال في سبيل الله، وليس في سبيل الحصول على مطمع أو مغنم دنيوي، وكانت هذه اللحظات هي البداية لما تعرضوا له من محنة قاسية.

دفعهم طمعهم إلى الخروج عن مهمتهم، فنشأ عن مطمع دنيوي حقير موقف عصيب، كاد يهدد الدعوة الإسلامية، لولا فضل الله ﷻ.

ولم يكن التقصير من جانب الرماة فقط، بل امتد إلى هؤلاء الذين كان لهم فضل كسب الجولة الأولى، فهؤلاء ما إن رأوا المشركين يفرون حتى اتجهوا إلى جمع الأسلاب والغنائم، وما كانت هذه أو تلك هدفًا من أهداف المعركة، فقد صرفتهم عن استكمال أسباب النصر، واستغلال فرار المشركين ووجود حالة ذعر في صفوفهم، للقيام بعملية مطاردة، فإنَّ كل عملية هجوم ناجح تستتبع عملية مطاردة للقضاء على العدو، وكم يتمنى المسلم أن يكونوا قد طاردوا المشركين وتركوا جمع الغنائم».

[العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ لفرج ص ٤١٤].

ويقول د/ الزيد: «من قول بعض الرماة: (أي قوم الغنيمة) وما ترتب على ذلك نأخذ الحذر من الحرص على الدنيا، والله ﷻ يقول: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وقال ﷺ: «... **إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». [مسلم في الفضائل (٢٢٩٦)].

وهذا موقف يسير قصير من الحرص على الدنيا، فكيف بمن يصبح ويمسي والدنيا أكبر همه؟

وما دام الحديث عن الدنيا والحرص عليها وعواقب ذلك يجدر بنا أن نذكِّر بقول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[البقرة]، وقد جعل الرازي هذا الحرص هو علة التفاوت في قول الله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، فقال: «علة هذا التفاوت أن اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾، فقرنهم في الحرص بالمشركين المنكرين للمعاد، والحرص معدن الأخلاق الذميمة؛ لأن من كان حريصًا على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا، وأقدم على كل محظور ومنكر بطلب الدنيا».

[التفسير الكبير للرازي ١٢/ ٦٦]. [فقه السيرة للزيد ٤٥٠-٤٥١].

وسيأتي استكماله بعنوان «**إيثار الدنيا على الآخرة يوقع في الخطيئة**» في الدروس الدعوية.

٦ ـ الصبر على الإصابة في سبيل الله:

يقول ل/ فرج: «إن المسلم إذا أُصيب خلال القتال فعليه أن يصبر على إصابته في سبيل الله، وأنه قد يُشفى من مرضه حين تتداركه رحمة الله، فإذا لم يشف ومات متأثرًا بجراحة فهو شهيد له ما وعد الله به الشهداء، أما أن يَقتل المصابُ نفسه تخلصًا من عذابات الجراح، فهذا أمر يخرج بالفرد عن دائرة الإيمان

بما هو مقرر له، وبالتالي فإنه يعبر عن السخط أو اليأس من روح الله، وهذا وذاك أمران مرفوضان غير مقبولين؛ لأنه لا يسخط إلا ضعيف الإيمان، ولا ييأس إلا القوم الكافرون.

وقد حدث أن خرج مع المسلمين يوم أُحد رجل ذو بأس وقوة لا يدري أحد من المسلمين ممن هو، وقاتل هذا الرجل ـ ويُسمى قزمان ــ قتالًا شديدًا، وكان أول من رمى من المسلمين بسهم، وأصابته خلال القتال جراحة أقعدته، فنُقل إلي دار بني ظفر، فلما جاء الليل لم يصبر على جرحه إذ اشتد عليه، فأخذ سهمًا من كنانته وطعن به نفسه فمات، وكان إذا ذُكر قبل موته لرسول الله ﷺ قال: «**هذا من أهل النار**»، فلما مات قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، الرجل الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قاتل قتالًا شديدًا وقد مات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إلى النار**». [**العبقرية العسكرية لفرج ٢٥١-٢٥٢**].

٧ ـ كيفية معالجة الأخطاء:

يقول د/ بامدحج: «من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ألا نتعامل مع الصحابة ﷺ بموجب أخطائهم، بل نُكِنُّ لهم كل محبة وتقدير وترضٍّ وتعظيم، فمن أصول أهل السنة والجماعة سلامة القلب من البغض والغل والحقد والكراهية، وسلامة ألسنتهم من كل قول لا يليق بهم، فقلوبهم سالمة من ذلك، مملوءة بالحب والتقدير والتعظيم لأصحاب رسول الله ﷺ على ما يليق بهم، فهم يحبون أصحاب النبي ﷺ ويفضلونهم على جميع الخلق؛ لأن محبتهم من محبة رسول الله ﷺ، ومحبة رسول الله ﷺ من محبة الله ﷻ، وألسنتهم أيضًا سالمة من السب والشتم واللعن والتفسيق والتكفير وما أشبه ذلك مما يأتي به أهل البدع، فإذا سلمت من هذا، مُلئت من الثناء عليهم والترضي عنهم والترحم والاستغفار وغيرذلك. [**شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/ ٢٤٧ ـ دار ابن الجوزي بالدمام ـ السعودية ١٤١٥هـ**].

ويعتقدون فضلهم ومحاسنهم ويترحمون عليهم ويستغفرون لهم ولا يقولون إلا ما حكاه الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر]، وطاعة الرسول ﷺ في قوله: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**». [**البخاري في فضائل الصحابة ﷺ (٣٦٧٣)، ومسلم في فضائل الصحابة ﷺ (٢٥٤٠)، وأبو داود في السنة (٤٦٥٨)، والترمذي في المناقب (٣٨٦١)، وابن ماجه في المقدمة (١٦١)، وأحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ (١٠٦٩٥، ١١١٢٤، ١١٢١٤)**].

[**كتاب التوحيد ـ د/ صالح بن فوزان الفوزان ص ٧٦ ـ مكتب الأثير بالرياض د.ت**].

ولكن هناك حقائق متعددة أراد الله أن يؤكدها في أحداث غزوة أحد، ويطبقها لنا رسوله الكريم ﷺ تطبيقًا عمليًّا، حيث أراد ﷺ أن يبين لنا الممارسة العملية لكيفية التصرف في مثل هذه المواقف من صبر وضبط للنفس وحسن تصرف.

أ ـ انخزال المنافقين: بدأ النفاق ضد الإسلام في المدينة المنورة، وذلك بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إليها، وأظهر الله ﷻ كلمته، وأعز الإسلام وأهله، أظهرت طائفة منهم دخولها في الإسلام فوُجد النفاق والمنافقون ، [النفاق: آثاره ومفاهيمه ـ د/ عبد الرحمن الدوسري ص ١٠ ـ مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٤هـ].

وبدأوا يكيدون للإسلام من داخله لما يكنونه من غيظ في قلوبهم للمسلمين، بل دخلوا في الإسلام ظاهرًا؛ لتحقيق أهدافهم ضد الإسلام، فلما جاءت غزوة أُحد واستقر رأي الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم بعد إجراء الشورى على الخروج لملاقاة قريش في أُحد، خرج الرسول ﷺ وجيشه إلى أُحد، ولكن (عندما وصل جيش المسلمين الشوط، انسحب المنافق ابن سلول بثلاثمائة من المنافقين، بحجة أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضًا على قرار القتال خارج المدينة، قائلًا: «**أطاع الولدان ومَنْ لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا**»، وكان هدفه الرئيس من هذا التمرد، أن يُحدث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي؛ لتنهار معنوياته ويتشجع العدو، وتعلو همته، وعمله هذا ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب حتى لا يختلط المخلص بالمغرض والأصيل بالدخيل، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]، فانكشف المنافقون وافتضحوا أمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن. [مرويات غزوة أحد ـ د/ حسين أحمد الباكري ص ٧١].

وقد حاول عبد الله بن حرام رضي الله عنه ـ والد جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ـ فقال: «**يَا قَوْمِ أُذَكِّرُكُمْ اللهَ أَلَّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ عِنْدَمَا حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَقَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ**، قَالَ: فَلَمَّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وَأَبَوْا إِلَّا الِانْصِرَافَ عَنْهُمْ قَالَ: **أَبْعَدَكُمْ اللهُ أَعْدَاءَ اللهِ فَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ نَبِيَّهُ**». [السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٤].

وفي هؤلاء المنخزلين نزل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

فبالرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين، وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول ﷺ ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس.

ب ـ خطأ الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا: قال تعالى موضحًا قصة الفئتين اللتين كادتا أن تفشلا ومبينًا علاج ذلك الخطأ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران]، قال الطبري: أن تفشلا: أي هَمَّا أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوهما ... وكان همُّهما الذي همَّا به من

الفشل، الانصراف عن رسول الله ﷺ والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أُبي بن سلول بمن معه، جبنًا منهم، من غير شك منهم في الإسلام ولا نفاق، فعصمهم الله مما همُّوا به من ذلك، ومضوا مع رسول الله ﷺ لوجهه الذي مضى له، وتركوا عبد الله بن أُبي بن سلول والمنافقين معه، فأثنى الله ﷻ عليهما بثبوتهما على الحق، وأخبر أنه وليُّهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار. [تفسير الطبري ٣/ ٤١٩].

وقال الزمخشري في «الكشاف»: «والطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج، وبنو الحارثة من الأوس وهما الجناحان... وقد هم الحيان باتباع عبد الله بن أُبي ـ عندما انخزل بثلث الجيش ـ فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أضمروا أن يرجعوا، فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا، والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس، وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر، ويوطنها على احتمال المكروه... ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية». [الكشاف للزمخشري ١/ ٤٠٩-٤١٠].

وفي هذه الآية الكريمة تربية للمؤمنين، حيث بينت لهم أن الله ﷻ مُطَّلع على أعمالهم أثناء خروجهم إلى غزوة أُحد، كما أرشدهم ﷻ إلى التوكل عليه وحده؛ وذلك لأن دخول المعارك أمر ليس بالهين والسهل، بل يحتاج فيه المقاتل إلى الصبر وقوة العزيمة، وخير فعل يتخذ هو التوكل الحقيقي على الله.

[حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ ـ د/ محمد بن بكر بن إبراهيم آل عابد ص ١٦٤].

لا شك أن الدعاة إلى الله تعالى قد يحدث بينهم خلاف وتنازع في مسألة شكلية، ولقد أرشد القرآن الكريم الدعاة إلى الحل الأمثل، حيث أورد بعد هذه الآيات العلاج الأمثل والناجع في حالة حدوث الخلاف بين المؤمنين عامة والدعاة خاصة في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾[آل عمران].

ج ـ خطأ الرماة: فمن الحقائق التي أراد الرسول الكريم ﷺ أن يؤكدها في هذه الغزوة حادثة خطأ الرماة.

إن الرماة الذين أخطأوا الاجتهاد في غزوة أحد، لم يُخرجهم الرسول ﷺ خارج الصف، ولم يقل لهم: إنكم لاتصلحون لشيء من هذا الأمر، بعد ما بدا منكم في التجربة من النقص والضعف، بل قَبِل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة، ثم شمل ﷻ برعايته وعفوه جميع الذين اشتركوا في هذه الغزوة رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليها من خسائر فادحة، فعفا ﷻ عفوًا غسل به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم

بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وهناك أمر مهم يتصل بهذا العفو قد يترك أثرًا في نفوسهم يعوقها بعض الشيء، ذلك هو موقف رسول الله ﷺ مما حدث منهم، إنهم يشعرون أن الرسول ﷺ هو وحده الذى تحمَّل نتيجة تلك الأخطاء، فلابد من أن ينالوا منه عفوًا تطيب به نفوسهم، وتتم به نعمة الله عليهم؛ لهذا أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يعفو عنهم وحثه على الاستغفار لهم، كما أمره أن يأخذ رأيهم والاستماع إلى مشورتهم، ولا يجعل ما حدث صارفًا له عن الاستفادة بخبراتهم ومشورتهم، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران]». [حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ ـ د/ محمد بن بكر آل عابد ص ١٦٤]. [غزوة أحد لبامدحج ٢١٦-٢٢١].

٨ ـ التشابه بين مخالفات بدر وأُحد واختلاف النتائج:

يقول الشيخ عرجون: «وإذا كان أهل بدر عوتبوا على مخالفاتهم لخطط القيادة العليا للمجتمع المسلم، وأوامر هذه القيادة المتلقاة من الوحي مباشرة أو عن طريق تصويب الاجتهاد أو التنبيه على ما عسى أن يقع فيه من الخطأ غير المقصود، واقتحام المجاهدين ما لم تأمر به القيادة العليا الحكيمة ولم ترضه منهجًا لها ـ فغيرهم أحق وأولى.

وهذه المخالفات البدرية تتمثل في:

أولًا: كراهية فريق من المؤمنين المجاهدين الخروج للقاء عدوهم ومقاتلته، وهو قد قدِم في عدده وعُدَدِه لمهاجمتهم بقصد استئصال المجتمع المسلم في تركيبه الاجتماعي التكافلي الجديد، وفضَّلوا على هذا اللقاء القتالي المضي وراء العير وغنم ما فيها من أموال ومتاع لقلة حاميتها وسهولة أخذها، بعد أن فاتتهم، ونجا بها أميرها أبو سفيان بن حرب، وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [الأنفال]، وقد فسرنا الآية في موضعها المناسب، وبيَّنا ما فيها من هذا المعنى مستشهدين بحديث أبي أيوب عند الترمذي الذي سقناه أكثر من مرة لتطلُّب المناسبة لهذا المساق.

وقد جاء في هذا الحديث قول بعض الصحابة رضي الله عنهم والنبي ﷺ يشاورهم ويقول لهم: «**ما رأيكم في لقاء القوم؟**» بعد أن ذهبت العير ناجية إلى مكة: لا طاقة لنا بقتال القوم، عليك يا رسول الله ﷺ بالعير، فإنها ليس دونها أحد، فيزيدهم الله تعالى في معاتبته لهم شدة، ويذكِّرهم إن أخذ العير أو لقاء النفير وعد

صادق من الله لا يتخلَّف، وقد فاتتكم العير، فلم يبق لكم إلا ملاقاة النفير ينبغي لكم أن تخرجوا لملاقاته فهو أعظم فائدة لكم من العير؛ لأنه برجاله وغنائمه قد صار موضع تحقيق الوعد، فلا تتهيبوا ما فيه من قوة عددية في الرجال وقوة عتادية في الأسلحة والأموال، فإنكم ستغنمونها وتقتلون صناديد أعدائكم وتأسرون أشرافهم، وتشردون فلالهم، وتفزعون فرَّارهم تحقيقًا لوعد الله الذي لا يتخلف فقال لهم عز شأنه: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ـ العير أو النفير ـ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧] وقد تعين هذا الوعد في النفير بعد فوات العير، ولكنكم تهيَّبتم لقاءه وغفلتم عن وعد الله لكم، وارتبطت همتكم وعزائمكم بالتطلُّع إلى العير لسهولة أخذها وما فيها من عرض الدنيا؛ لأنها ضعيفة الشوكة قليلة الحامية، فوددتموها لذلك كما أخبر الله في قوله جل شأنه: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ـ أي العير ـ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧] لما فيها من الأموال، التي ليس لها قوة كافية للدفاع عنها، ولا تحقق لكم إلا غرضًا شخصيًّا هو الحصول على عرض الدنيا الزائل الفاني ونسيتم أن لقاء النفير والظفر به يحقق إرادة الله في إعزازكم، وإذلال عدوكم ونصركم عليه، وهزيمته أمامكم، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾ [الأنفال]؛ ليثبت الحق في مغارزه، ويزيل الباطل عن منازله.

ثانيًا: مخالفة أهل بدر في تعجُّلهم إنهاء المعركة بمجرد ظهور بوادر النصر الذي لم يكن متوقعًا عندهم ولا كان يمر بخيالهم، وإقبالهم على عرض الدنيا والاشتغال بجمع الغنائم واستبقاء الرجال لأخذهم أسرى قبل الإثخان في الأرض؛ لإضعاف شوكة العدو بتكثير القتل في رجاله وصناديده وأشراف جاهليته، والمبالغة في جراحاته لتوهين قوته، فقال لهم منتقلًا عن أسلوب الغيبة في إخبار النبي ﷺ بأنه ما كان من شأنه في نبوته ولا كان مما يمكن أن يقع منه أن يكون له أسرى قبل أن يثخن في الأرض بإشباع سيوف مجاهدي كتائبه من أعناق الكافرين المحاربين له الذين يريدون القضاء على دعوته ومجتمعه، قبل أن يبلغ في جراحاتهم ما يعجزهم عن مواقفة المؤمنين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ـ إلى أسلوب المواجهة بالخطاب معاتبًا لهم على ما كان منهم من مخالفة القيادة العليا في خططها، يريدون بهذه المخالفة عرض الدنيا الزائل، معرضين عن الآخرة وثوابها ونعيمها المقيم: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾ [الأنفال]، ومعنى هذا الأسلوب ـ الذي أوضحناه في الحديث عن وقعة بدر التي هي موضع النص، ونعيد بعضه هنا تأكيدًا لإظهار الترابط بين بدر وأحد ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ [الأنفال:٦٧] الذي أُخبر به النبي ﷺ إعلامًا له بما كان عليه الأنبياء قبله من شأن وحال، وهو خاتمهم وجامع فضائلهم ـ نفي أن يقع منه ذلك كما هو منفي عن إخوانه الأنبياء وتنزيه له عن الاتصاف به، فهو أسلوب نفي

وتنزيه لا أسلوب نهي صريح ولا ضمني ـ كما صرح به أبو حيَّان في تفسيره ـ فهو في الحقيقة مدح وثناء افتتح به عتاب الذين كانوا سببًا لكينونة ما لا ينبغي أن يكون.

والمخالفة الأولى لأهل بدر، وهي كراهية فريق منهم الخروج إلى لقاء النفير ومقاتلتهم، كانت في مقدمات المعركة قبل نشوبها.

والمخالفة الثانية كانت في نهاية المعركة وتصفيتها.

بيد أن أهل أحد عوقبوا على مخالفتهم أوامر القيادة العليا، فتعرَّضوا لفتنة الهزيمة والقتل والذهول عن مواقفهم حتى صار بعضهم يقتل بعضًا دون قصد ومعرفة من شدة ما انتابهم من الفوضى والدهش، مما أدى إلى فرار جمهورهم عن النبي ﷺ حتى تعرَّض لأشد البلاء وأقسى المحن، فقد أصيب ﷺ بأبلغ الجراحات ودُمي وجهه الشريف، وكُسرت رباعيته، ودخلت حلق المغفر في وجنته الطاهرة، ووقع في حفرة مما كادهم بها أبو عامر الفاسق، فلم يستطع النهوض للخروج منها حتى أنهضه طلحة بن عبيد الله ﷺ لأنهم خالفوا وحي الرؤيا، وكما كانت المخالفة الأولى لأهل بدر في مقدِّمات المعركة قبل نشوبها كانت المخالفة الأولى لأهل أحد في مقدمة المعركة قبل احتدامها، غير أن مخالفة أهل أحد الأولى كانت على عكس مخالفة أهل بدر الأولى؛ لأن مخالفة أهل بدر كانت كراهية فريق منهم لقاء العدو وتهيب قتاله لقلة عددهم وضعف عدتهم، وكثرة العدو وقوة عتاده.

وأما مخالفة أهل أحد فكانت ممثلة في شدة حرصهم على الخروج إلى العدو ومقاتلته خارج المدينة لإعلاء كلمة الله، ولكن منهج الرسالة لا يقر مخالفة القيادة العليا على أيَّة صورة كانت تلك المخالفة، ولا سيما أن القائد الأعلى في المعركة هو رسول الله ﷺ الذي تجب طاعته نبيًّا ورسولًا وقائدًا دون نظر إلى جهة المخالفة، وكان رسول الله ﷺ قد أخبرهم برؤياه وهي وحي من عند الله يقتضي وجوب متابعته وطاعته واطِّراح العواطف وعدم الالتفات إليها؛ لأن النبي ﷺ أعلم بالله وبما يريد من كل أحد منهم، وقد أبدى لهم في تأويل رؤياه دوافع عدم الخروج من المدينة وأن القتال في فجاجها أضمن لنصر المؤمنين». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٥٦-٥٥٩].

٩ ـ جبل الرماة... الواعظ الحي: (١)

يقول أ/ خالد ثامر السبيعي: «من على جبل الرماة في طيبة وقفتُ متأملًا سابحًا في خيال من مئات السنين إلى الوراء، ورمقت ببصري ذلك الجبل الداكن العظيم شامخًا عزيزًا وكأني به يتفاخر أمام الملأ من كل أصقاع الدنيا بوسام المصطفى ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». [سبق تخريجه].

وبين أحد الحبيب... وجبل الرماة الجريح يرقد صفوة من أصحاب محمد ﷺ كانوا مثال الشجاعة والصبر والفداء.

---

(١) موقع WWW.ISLAMWAY.COM، وشبكة مشكاة الإسلامية.

أحبتي: في ذلك المكان.. وأمام تلك المشاهد المذهلة كانت هذه الخواطر.

لن أسرد لكم أحداث غزوة أحد فالقصة معلومة والتاريخُ دوَّنها بكل دقة وأمانة، وتبقى العبرة والعظة تحتاج إلى تذكير ومدارسة.

تأمل يا رعاك الله قول الحق سبحانه: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران].

لقد نزلت هذه الآية الكريمة لكي تُشخِّص الداء وتقوِّم حال الجماعة المسلمة بعد مخالفة الرماة أمر رسول الله ﷺ ونزولهم لأخذ الغنائم وترك الجبل للمشركين كي يقلبوا النتائج ويحولوا سير المعركة لصالحهم، وقد كان النصر حليف المسلمين، كيف لا وقد رأى بعض الصحابة خلاخيل نساء المشركين وهن يهربن من هول المعركة.

عندها قال ابن مسعود ﷺ قولته المشهورة: «ما كنت أظن أن أحدًا من أصحاب محمد ﷺ يريد الدنيا حتى نزل قول الله ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

إن المتأمل في هذه الآية يجد الصراحة والوضوح في تحديد الخطأ الذي وقعت فيه الأمة الإسلامية بدون مجاملة أو تعميم ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

إنها الغنائم التي طالما حذر منها الحبيب ﷺ، إنها الغنائم حينما تقفز على قائمة الأولويات والمهمات في حياة الدعاة والمصلحين، فكذلك تنقلب قائمة النتائج والانتصارات.

واليوم إذا أرادت الأمة الإسلامية ـ وعلى رأسها الدعاة والمصلحون ـ الانتصار والتمكين فلا بد من تحديد الخلل بصراحة ووضوح، ثم العمل الجاد على الإصلاح والتغيير لا المراوغة والتبرير.

يقول د/ عمر بن عبيد حسنة مؤكدًا ضرورة النقد الذاتي وضرورته للحركات الدينية: «إن التستر على الأخطاء باسم المصلحة العامة، وحفظ الكيان والتوهم بأن الحسبة في الدين تؤدي إلى البلبلة والتمزق أمر خطير ومفسدة فظيعة تدفع الأمة ثمنها الدماء الغزيرة، وليس هذا فقط، بل تؤدي إلى ذهاب الريح وافتقاد الكيان أصلًا، فالأمة بدون هذه الحسبة وهذا التناصح تعيش لونًا من التوحد يشبه إلى حد بعيد الورم الممرض». (نقلًا عن كتاب الحركة الدينية وحوار من الداخل ص٦).

إذًا فهذا هو جبل الرماة.... الواعظ الحي ينادي فيقول:

يا أمة الإسلام... إياكم والدنيا، فإنها أهلكت مَنْ كان قبلكم.

إن الواعظ الحي ينادي الحركات الإسلامية التي ما زالت تهرول نحو مكتسبات وهمية... وغنائم هي من حق الأمة الإسلامية، تاركةً خلفها كل محاولات الإصلاح والتجديد تحت ستار المصلحة ومن منطلق الوصاية على الدين.

إن الواعظ الحي يقول لهم: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

أيها الإخوة: إن الغنائم في زماننا هذا ليس خيلًا أو إبلًا ولا ذهبًا أو فضة ولا حتى الجواري الملاح.

إن صور الغنائم عندنا تأخذ أشكالًا وصورًا عديدة:

(١) بعض الدعاة ـ هداهم الله ـ حوَّل اللجان الخيرية إلى مؤسسات لجني الأموال من الناس تحت مُسمى الدورات، التي لا حد لها ولا حصر، والتي أصبحت تتكرر بأسماء وعناوين مختلفة والمادة صورة مكررة ولكنها وللأسف غير منقحة.

(٢) لقد أصبح نجوم المال في العالم الإسلامي هم محط أنظار الحركات الإسلامية، علهم يظفرون منهم بغنيمة لخدمة أفكارهم الحزبية أو أهدافهم الضبابية.

(٣) ربما ترى يومًا من الأيام بعض الدعاة فوق جبل الرماة يشرح أحدهم لطلابه أحداث غزوة أحد ويحذرهم من مغبة مخالفة أمر القائد، فيقتل هذه المسألة بحثًا وتفصيلًا وتأصيلًا، ثم لا يتطرق إلى موضوع الغنائم بسرعة تفوق سرعة الصوت.

وقد يرتقي هذا الجبل الجريح دعاة من مناهج شتى ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾[المؤمنون] لم يستفيدوا من هذا الواعظ الحي ... وهم يرون ما يحل بأمة الإسلام، فتراهم يتنافسون على الغنائم، مركز إسلامي أو مسجد في موقع إستراتيجي أو ربما جمعية خيرية ينتظرها الفقراء والمعوزين بفارغ الصبر، وقد يصل التنافس إلى انتخابات بلدية أو برلمانية.

وداعية آخر بدأ مخلصًا في دعوته ثم أبهرته الغنائم وهي تحيط به عن يمينه وشماله ومن فوقه ومن تحت أقدامه، فأصبحت إحدى عينيه على الدعوة وأخرى ترمق بشغف مقعدًا في البرلمان، كل هذا يحدث في واقع مرير تضيع معه مبادئ وأصول هي إفراز طبيعي لمن قدم الغنيمة على مصلحة هذه الأمة العظيمة.

يا دعاة الإسلام: إننا بحاجة إلى شباب يعشقون التضحية والإيثار وليس من صفاتهم الأنانية والاستئثار.

وبين صراع الغنائم والظفر بها .. يظهر في الجانب الآخر مصعب بن عمير ﷺ الذي ركل الدنيا بقدميه وقد دانت له، كيف لا وهو فتى قريش المدلل، إنه يموت في أُحد حيث لا يسعه الكفن! فما أهون الدنيا عندك يا ابن عمير ـ رضي الله عنك ـ وقد أمسكتها ثم لفظتها كما تلفظ النواة.

أيها الأحرار: بقدر ما كان مصعب ﷺ يحرر نيته ومنهجه من غنائم الدنيا التي تبرق في الطريق إلى الله بقدر ما كان النور يسطع وينتشر في أرجاء الدنيا.

وإني أرجو الله أن يخرج لنا جيلًا من أمثال مصعب بن عمير ﷺ، أفراد ولكن كل واحدٍ منهم يعدل أمة لوحده.

كَأَنَّهُ وُهُوَ فَرْدٌ مِنْ جَلالَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

أخيرًا: أختم بهذا الحديث وأترك للقارئ الكريم حرية التفكير والاستنباط من جوامع الكلم لنبي الرحمة ﷺ.

روى الشيخان في صحيحهما عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**».

قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. [البخاري في المغازي (٤٠٤٢، ٤٠٨٥)، وفي الجنائز (١٣٤٤)، وفي المناقب (٣٥٩٦)، وفي الرقاق (٦٤٢٦، ٦٥٩٠)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٦)].

أيها الناس: **جبل الرماة.... إنه حقًّا الواعظ الحي**. ا.هـ.

١٠ ـ ثبات القائد وشجاعته من أعظم وسائل النصر:

يقول الشيخ أبو خوات: «فلعل من المعروف لدى القارئ أساسًا من معلومات عن المعركة وتأكيدًا مما سبق عرضه في الكلمات السابقة أن الجيش الإسلامي تمزق وتفرق على نحو يصعب وصفه تفصيلًا، وقد وصفه العلامة ابن حجر فيما سبق إجمالًا، ولكنك قد تتساءل عن موقف النبي القائد ﷺ وعن جهاده وبلائه في هذا اليوم العصيب، وبخاصة أنك قد تعلم أن عتبة بن أبي وقاص أصاب وجه النبي ﷺ بالحجارة فشُج وسال دمه الشريف على أرض المعركة، وأن حلقتين من حلق المغفر قد دخلتا في وجنته، وعند محاولة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ نزعها سقطت ثنيتاه وكسرت رباعيته، وفي دفع المسلمين إلى الخلف وقع النبي ﷺ في إحدى الحفر التي صُنعت بمعرفة أبي عامر، فأخذ بيده علي ﷺ وساعده على رفعه طلحة بن عبيد الله ﷺ حتى استوى قائمًا.

قد نتساءل بعد ذلك كله وقد انفض عنه أصحابه مأخوذين بشائعة قتله: ماذا يفعل؟ هل تخاذل؟ هل تراجع؟ هل لجأ إلى الدعاء على أعدائه لتحدث المعجزة الخارقة ـ على أن الأمر لم يخْلُ من إعجاز ـ؟

والجواب: أن النبي ﷺ رغم ذلك كله ثبت في مكانه ينثل كنانته لسعد بن أبي وقاص ﷺ ويقول له ما لم يقله لغيره: «**ارم فداك أبي وأمي**»، ويدفع عن نفسه بنفسه حتى أن أُبي بن خلف لما أقبل عليه يريد قتله تناول حربة من الحارث بن الصمة ﷺ وطعنه بها في عنقه فمات وهو عائد إلى مكة.. وأُبي هذا هو الرجل الوحيد في حياة رسول الله ﷺ الحربية كلها الذي قُتل بيد رسول الله ﷺ دفاعًا عن النفس في أحرج لحظات.

وينادي في الناس: **إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله**، ويعاتبهم على مواقفهم فيعتذرون، حتى جمع حوله عددًا معبأ ليستميت في الدفاع عن الحق الذي يؤمن به، مما جعل قريشًا وحلفاءها يرون أن من مصلحتها

الاكتفاء بما حدث والرجوع إلى مكة وعدم محاولة دخول المدينة، ولو لم يقف رسول الله ﷺ وقفته المؤمنة الواثقة لكان من الممكن أن تقضي قريش يومها على كل ما كانت تنبض به حياة المدينة من قيم ومبادئ جديدة، ولكنه الإيمان والتضحية والشجاعة الخارقة مما يتحلى به القائد حتى استطاع أن يجمع جيشه بعد تفرق وتمزيق، على أن لهؤلاء المستجيبين للنداء حقهم من التقدير والخلود، كما أن لأولئك الذين ثبتوا مع الرسول ﷺ في موقفه حق التنويه والإشادة والتسجيل حتى يتعلم منهم شبابنا الواعي الشجاع كيف تسمو بالرجال مواقفهم، وكيف يصل الإيمان بقضية الموت إلى حد الثبات والصمود في وقت كانت الرماح كأشطان بئر في لبان الأدهم كما يقول عنترة، ذلك الوقت الذي كان الموت فيه حتمًا من الحتم، وكانت النجاة فيه ضربًا من المحال، ولكن هؤلاء الثابتين أحبوا الموت فوُهبت لهم الحياة.

تلك أمثلة ودروس نضعها أمام أمتنا الحاضرة واللاحقة حقًّا واجب الأداء لها ولأمتنا السابقة على سواء.

وتأكيدًا لهذا الحق نذكر الأسماء: ثبت مع رسول الله ﷺ في موقفه في أشد أوقات المعركة أربعة عشر رجلًا وامرأة: أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وأبو عبيدة وهؤلاء من المهاجرين، وأبو دجانة والحباب بن منذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وهؤلاء من الأنصار، وأما المرأة فهي أم عمارة.

وهذا لا يعني أن كبار الصحابة المعروفين بجهادهم وشجاعتهم أمثال علي ﷺ وغيره لم يثبتوا، وإنما كانوا في معمعة القتال يَقتلون ويُقتلون في مواقع بعيدة عن موقف الرسول ﷺ، كما أن هذا لا يعني أن إيمان النبي ﷺ وحده هو العامل الوحيد في عملية التجميع بعد الهزيمة، وإن كان أقوى العوامل الهامة، ولو تصورنا أنه نادى قومًا فقدوا إيمانهم وذهبت الهزيمة بما في نفوسهم من هيبة الرسول ﷺ ومحبته في نفس الوقت، فماذا كان يصنع بمفرده؟ اللهم إلا أن ينصر بمعجزة يستجيب فيها الله وحده لدعائه على أعدائه، ولكنه لم يلجأ إلى ذلك... وحين طُلب منه ذلك قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَلَكِنْ بُعِثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً.. اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**».

ولكي تكون الغزوة كلها ـ إلا ما لا بد من عين العناية فيه ـ بشرية تخضع لمقاييس النصر والهزيمة، نزل القرآن الكريم ـ حين قال النبي ﷺ: «**كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدِّمَاءِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟**» ـ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران].

وفي فوضى التخاذل والتراجع والارتباك والثبات، برز للناس مثلان يدلان على معنى عميق، كان بطلاهما رجلًا وامرأة، فأما الرجل فهو أنس بن النضر ﷺ عم أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ وصاحبه ومن رواة الصحاح من أحاديثه، سمع أنس هذا ـ حين شاعت مقالة قتل النبي ﷺ ـ جماعة

يقولون: **لَيْت عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ يَأْخُذُ لَنَا أَمَانًا مِنْ أَبِي سُفْيَانَ**، وَقَالَ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِين: **لَو كَانَ نَبِيًّا مَا قُتِلَ، ارْجِعُوا إِلَى إِخْوَانِكُمْ وَإِلَى دِينِكُمْ**، فقال أنس ﷺ على مسمع من الجماعتين ما ينبغي أن يُتخذ درسًا يفيد منه أصحاب المبادئ إلى آخر الدهر، قال: **يَا قَوْمُ إِنْ كَانَ قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَإِنَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَمَا تَصْنَعُونَ بِالحَيَاةِ بعد رَسُولِ الله ﷺ، فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ وَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**، ثمَّ قَالَ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِر إِلَيْكَ مِمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ هَؤُلَاءِ**، ثمَّ سَلَّ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَعَن بعض الْمُهَاجِرين أَنه مر بِأَنْصَارِيٍّ يَتَشَحَّطُ فِي دَمه فَقَالَ: **يَا فُلَانُ أَشَعَرْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا قُتِلَ؟** فَقَالَ: **إِنْ كَانَ قَدْ قُتِلَ فَقَدْ بَلَّغَ، قَاتِلُوا عَنْ دِينِكُمْ**».

أيها المؤمنون بالمبادئ المدافعون عنها اقرؤوا واملؤوا قلوبكم إيمانًا.

وأما المرأة فهي أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية ﵂... (وتقدم) ما قالته عن موقفها يوم أحد ولنأخذ العبرة والدروس، ولتتعلم فتياتنا ونساؤنا من هذا المثل الذي يدل على أن المرأة المؤمنة قد تصل في الجهاد والتضحية وتعريض حياتها للفناء في سبيل ما تؤمن به إلى مستوى أشجع الرجال.

قَالَ ابْنُ هِشَام: وَقَاتَلَتْ أُمُّ عُمَارَةَ نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ المازِنِيَّةُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ: أَنَّ أُمَّ سَعْدِ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ كَانَتْ تَقُولُ: دَخَلتُ عَلَى أُمِّ عُمَارَةَ فَقُلْتُ لَهَا: يَا خَالَةُ أَخْبِرِينِي خَبَرَكِ، فَقَالَتْ: خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِي سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ، وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيحُ لِلمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ انْحَزْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُمْتُ أُبَاشِرُ القِتَالَ وَأَذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ وَأَرْمِي عَنْ القَوْسِ، حَتَّى خَلَصَتْ الجِرَاحُ إِلَيَّ.

قَالَتْ: فَرَأَيْتُ عَلَى عَاتِقِهَا جُرْحًا أَجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فَقُلتُ: مَنْ أَصَابَكِ بِهَذَا؟ قَالَتْ: ابْنُ قَمِئَةَ أَقْمَأَهُ اللهُ، لَمَّا وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَقْبَلَ يَقُولُ: **دُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا**، فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَأُنَاسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَكِنْ فَلَقَدْ ضَرَبْتُهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ وَلَكِنَّ عَدُوَّ الله كَانَ عَلَيْهِ دِرْعَانِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٨١-٨٢].

فأم عمارة إذن كانت تسقي الناس بسقائها، ولكن لما رأت أنها تستطيع أن تسهم في الحفاظ على حياة قائدها وزعيمها رسول الله ﷺ تحولت إلى مقاتلة تضرب بالسيف وترمي بالنبل وتطعن بالرمح، وهذه صورة تتحدث عن نفسها». [دروس من غزوات الرسول ﷺ لأبي خوات ٤٩-٥٤]

يقول د/ أبو فارس: «وثبات النبي ﷺ في مكانه في أرض المعركة ـ وهو مكان القيادة ـ أثر كبير في نجاح عملية التجمع وإنقاذ ما يقارب ٩٠٪ من قوات المسلمين، ولو ترك مقر قيادته وأسهم في جمع الغنائم، لما تمكن الجيش الإسلامي من التجمع بعد حركة خالد بن الوليد المفاجئة.

[الرسول العربي ﷺ ص١٧٢].

ما لقيه الرسول ﷺ في الغزوة: ونتيجة لثباته ﷺ في المعركة وفي المقدمة، فقد تعرض لضربات قوية، ولكن الله وقاه شرها.

فقد روى الزهري رحمه الله في مغازيه قال: لقد أخبرنا عبد الرزاق أن وجه رسول الله ﷺ ضُرب يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها [المغازي للزهري ص٧٨]، أي لم تكن قاضية.

هذا وقد روى الإمام مسلم عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله**»، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨].

[مسلم في الجهاد والسير(١٧٩١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٢)، وأحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه (١١٥٤٥)].

وأصيبت ركبتا النبي ﷺ بجروح لما وقع في حفرة من الحفر التي حفرها المشركون بإشارة أبي عامر الفاسق عليهم.

وسال دمه الزكي من شجة في جبهته حتى أخضل الدم لحيته ﷺ، كما جُرحت شفة رسول الله ﷺ السفلى وكسر أنفه.

ولقد أنهك جسم رسول الله ﷺ من شدة ما ألم به، حيث لم يستطع أن يصلي ﷺ واقفًا، فصلى جالسًا بالمسلمين، وصلوا خلفه قاعدين، ولم يستطع أن ينهض فجلس طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه تحته ثم نهض به.

درس هام: إن ما لقيه الرسول ﷺ في غزوة أحد يدل دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ليبتليهم، ولا يُستثنى أحد من هذا الابتلاء ولو كان رسولًا نبيًّا، بل الرسل عند الله أشد الناس بلاء، ثم الأمثل فالأمثل». [غزوة أُحد لأبي فارس ٨٣-٨٤].

ويقول د/ الحميدي: «فكون النبي ﷺ يرفع صوته بنداء أصحابه يعتبر منتهى الشجاعة والبطولة؛ لأنه هو مقصود المشركين الأول، وهم يعرفون صوته، وهو بهذا النداء يغري المشركين بنفسه، لكنه لم يلتفت إلى ذلك؛ لأن عودة المؤمنين واجتماعهم تحت قيادته أهمُّ من أمر سلامته مع بقائه منفردًا عن أصحابه، وتفرقهم بغير قيادة ولا نظام.

وقد أقبل المشركون إلى النبي ﷺ وقاتلهم وقاتل دونه عدد قليل من أصحابه حتى قُتل بعضهم بين يديه وأثخن بعضهم بالجراح، إلى أن فاء المسلمون بعدما عرفوا مكان النبي ﷺ.

إن مشاركة النبي ﷺ في الجهاد وثباته العظيم في وجه العدو دليل واضح على اهتمامه الكبير بأصحابه وترفُّعه عن النظر إلى الذات، فلقد كان بوسعه ﷺ أن يبقى في مكان حصين، وأن يجعل حوله حرسًا يحمونه من هجمات الأعداء، وسيجد أن جميع الصحابة سيتنافسون على حمايته ووقايته بأرواحهم، ولكنه

واجه حَرَّ المعركة وتعرَّض لاستهداف العدو؛ لأنه يشرِّع لأمته ويرسم للقادة من بعده الطريق الأمثل، وعلى هذا الطريق سار قادة المسلمين من الصحابة ﷺ». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٥].

مثل من شجاعة النبي ﷺ: مقتل أُبي بن خلف:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مثل من شجاعة النبي ﷺ الفائقة، فقد أقبل عليه أُبيٌّ بن خلف وهو فارس ومدجج بالسلاح، وصار يتوعده بالقتل فتصدى له النبي ﷺ ولم يقبل من أصحابه أن يكفوه أمره، ولقد كان متدرعًا بالحديد الواقي من السلاح ولكن النبي ﷺ استطاع أن يطعنه بالرمح من فرجة صغيرة في عنقه بين الدرع والبيضة، ومثل هذه الفجوات عادة لا تتم إصابتها إلا عن قرب وفي حال غفلة ممن وجهت إليه؛ ولذلك لا يهتم بها المقاتلون.

وفي هذا الخبر معجزة للنبي ﷺ حيث قال لأُبي قبل ذلك بزمن حينما توعده: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فتم ذلك بمشيئة الله تعالى.

وفي الخبر عبرة في إيمان المشركين بأن النبي ﷺ إذا قال شيئًا وقع، فقد كان أُبي بن خلف على يقين بأنه سيموت من تلك الطعنة الخفيفة؛ لقول النبي ﷺ السابق، ومع ذلك لم ينفعهم ذلك في الإيمان به والدخول في الإسلام؛ لأنهم كانوا يعبدون أهواءهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٦٩].

١١ ـ رجاحة الفكر وشجاعة الفؤاد:

يقول أ/ فتح الباب: «وثمة مثال على رجاحة فكر الرسول ﷺ وشجاعته البطولية، فأما الرجاحة فيدل عليها أنه أَمَرَ أصحابه المدافعين عنه ألا يُكَذِّبَ أحدٌ منهم نبأ قتله حتى لا تتكاثر عليهم قريش فتغلبهم دونه.

وما أروع رجاحة الفكر إذ تنبثق رغم اشتداد الكرب وعظم البلاء.

وأما الشجاعة فيدل عليها صمود الرسول ﷺ وامتلاكه ناصية الأمور، فكان يأمر ويدير ويستحث أصحابه على الثبات، والنبل يترامى حوله من كل جانب.

لقد فرحت قريش بما بلغها عن موت الرسول ﷺ، وأدرك المسلمون الحقيقة حين رأى كعب بن مالك ﷺ عيني النبي ﷺ تزهران تحت المغفر فنادى بأعلى صوته: **يا معشر المسلمون أبشروا، هذا رسول الله** ﷺ، فأشار النبي ﷺ إليه ليسكت، ولكن المسلمين ما لبثوا حين عرفوا أن نهضوا بالنبي ﷺ ونهض معهم نحو الشِّعْبِ ومن حوله أبو بكر وعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام ورهط غيرهم.

وكان لصيحة كعب عند قريش كذلك أثرها، فاندفع بعضهم وراء محمد ﷺ والذين ساروا معه، وقد أدركهم أبي بن خلف وهو يقول: **أين محمد؟ لا نجوت إن نجا**.

وهنا تصدى له القائد الأعظم ﷺ في شجاعة منقطعة النظير فطعنة بحربة الحارث بن الصمة ﷺ طعنة جعلته يتقلب على فرسه ويعود أدراجه ليسلم آخر أنفاسه في الطريق.

ثم عاد المسلمون إلى المدينة بعد أن رأوا شهداءهم وقد بلغ عددهم سبعين شهيدًا، وكانت هزيمة بعد نصر بسبب عصيان الرماة أمر النبي ﷺ، واشتغال المسلمين عن العدو بغنائمه.

على أن غزوة أحد لم تكن آخر الغزوات، فلقد انتصر المسلمون بعدها انتصارات حاسمة تُوِّجَتْ بفتح مكة والقضاء على المشركين قضاء مبرمًا». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٧٢– ٧٣].

١٢ ـ حب الصحابة ﷺ الرسولَ ﷺ غاية في النموذجية وعمق الإيمان:

يقول د/ فيض الله: «وتجلى حب الصحابة الرسول ﷺ في مواقف شتى من هذه الغزوة، أسفرت كلها عن حب دفين، وإيمان عميق، وإيثار على النفس والروح.

١ـ فأبو دجانة ﷺ يُشرفه أن يأخذ سيف الرسول ﷺ المسمَّى بذي الفقار، ويَعِد بأن يفي بحقه، وهو المقاتلة به حتى ينحني أو ينكسر.

بل إنه بعد أن يأخذه، يعتصب بعصابة الموت الحمراء، ويمشي متبخترًا، في مشية يكرهها الله ورسوله إلا في هذا المقام ـ كما ورد فيه ـ ولِمَ لا يفخر، وهو يضرب بسيف الرسول ﷺ، ويتقوَّى بقوته، ويفرح بإنجازه وعده إياه.

ويبلغ به حب الرسول ﷺ وإكباره شخصه، أنه يسمع في المعركة صوتًا يحرِّض المشركين على القتال، فيتجه نحوه، فيرفع سيفه ليهوي به على الرأس الذي ينبعث منه، لكنه يحجم عنه فجاءةً، إذ يرى امرأة، فيكره أن يضربها بسيفه، ويكرِّم سيف الرسول ﷺ أن يضرب به النساء، بل هو يخصه بضرب الأبطال الأشدَّاء.

وفي الساعة العصيبة، لما حاولت قريش قتل الرسول ﷺ في جماعته التي تنافح عنه، فرمتهم بالنبال، التي كانت تسَّاقط عليهم بغزارة، كان أبو دجانة يترس عليه بظهره، واتخذ نفسه درعًا يقي بها الرسول ﷺ، فكانت النبال تخترق جسمه، وهو ثابت راسخ لا يتحرك.

٢ـ ذلك هو الفداء، وتلك المحبة المحمدية الدينية، وما بعد هذا الحب، الذي تُسترخَص فيه الروح، في ذات الحبيب الأعظم، من مزيد.

ألم يكن يقول أحدهم في معرض حديث معه: **نفسي لك الفداء يا رسول الله!**

قد كانوا جادِّين في الذي يقولون، وكانوا يعنونه ويقصدونه، فهذا من تطبيقاته وواقعاته: الاستماتة في المنافحة دونه.

روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الجَنَّةِ؟**»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَل كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصَاحِبَيْهِ: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». [مسلم في الجهاد والسير (١٧٨٩)].

هكذا، يسَّاقط الصحابة رضي الله عنهم واحدًا إثر واحد، في الدفاع عن الرسول ﷺ وفرسان المشركين ورُماتهم يمطرونه بالنبال والسهام الطائشة، في عناد وحِدَّة وإلحاح، بُغيةَ قتله.

٣ ـ وهذا أبو عبيدة ﷺ، ما إن يرى رسول الله ﷺ والدم ينزف من وَجنَته، وحلقات المِغفَر مغروسة فيها، حتى يُلقي بنفسه عليه، ويضمَّه إليه، في حنان وإشفاق، ويعالج الحلقات بأسنانه، حتى يُخرجَها، فتتكسر ثنيَّتاه، وهو غير عابئ، ويتسرب دمه الشريف إلى جوفه، فيمصه في ابتهاج وارتياح، ويبشره النبي ﷺ، قائلًا: «**مَنْ خَالَطَ دَمِي دَمَهُ لا تَمَسُّهُ النَّارُ**». [رواه الطبراني].

سمو في الحب، ومثالية فيه عالية، تتحدى الطبائع وعادات الناس، تَقصُر عنها همم ذوي الهمة، ولا يفسرها إلا الإيمان الراسخ العميق». [صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١١٩-١٢١].

١٣ ـ الملاطفة في التربية والتوجيه:

يقول الشيخ عرجون: «وهذه الأحداث الدامية، والمحن القاسية، والبلايا المرزئة التي أصابت المجتمع المسلم في هذه الغزوة لم تكن قط من عقوبات المساخط الإلهية، وإنما كانت دروسًا تربوية كان المجتمع المسلم في أشد الحاجة إليها وهو في دور النشأة والتكوين لتمحيصه تمحيصًا يصفِّي عواطفه الإيمانية، ويصقل غرائزه البشرية، ويصونه عن الإفراط في الحب بالتزيد فيه وإعطاء ما ليس بحق صورة ما هو حق، ويحفظه عن التفريط في المتابعة بالتنقص منها بتحريف التأويل.

نعم إن ما جرى في غزوة أُحد من أحداث وابتلاء ومحن وأزمات كان لونًا من التربية الصادقة القاسية، وهي تربية اقتضاها الموقف بدءًا ونهاية ليتحقق الزجر الذي يحوِّل النفوس عن رغائبها العاطفية إلى إرادات إيمانية، فهي في حقيقتها وعواقبها البعيدة رحمة، من شذاها استمد حكيم الشعراء قوله:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

والذي يدل على أنها أحداث تربية رحيمة غلَّفتها الشدة القاسية ما نزل في قصَّتها من آيات الكتاب الحكيم.

فقد تلطف الله بمن كان متنزل هذه الأحداث القواصم من المؤمنين المجاهدين، فلاحقهم بالعفو عنهم بعد أن أذاقهم مرارة العتاب لئلا تنفطر نفوسهم كمدًا وغمًّا، فختم الله تعالى آية العتاب المتضمنة

لوعد الله بالنصر إذا حقق الرماة ما أوصاهم به رسول الله ﷺ ونفَّذوا أمره عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [آل عمران].

تلطف الله تعالى بالمجاهدين في العتاب ملاطفة في التربية والتوجيه:

وهذا التلطف من الله تعالى بهؤلاء المجاهدين الذين هفوا هذه الهفوة يجعل العتاب منه تعالى من قبيل الملاطفة التي تحمل في طيَّاتها التأنيس لهم بعد أن نأَتْ بهم جفوة المعاتبة؛ ليثوبوا إلى منابع الامتنان الإلهي والإحسان الربَّاني، ويقفوا بين مرارة العتاب فلا ينسوا ما كان منهم ليعودوا إلى مثله وبين حلاوة الملاطفة فلا يبتئسوا همًّا وغمًّا.

ويرشح صيرورة التلطف ملاطفة ختم الآية الكريمة بما وصف الله عز شأنه به نفسه من أنه أهل التفضل والإنعام لإبانة أنَّ ملاطفتهم بعد العتاب نابعة من بحار كمال جوده الذي سبقت فيه رحمته غضبه، مع وصفه لهؤلاء المعاتَبين بالإيمان الذي هو ذروة الكمالات لتنزل المراحم والإنعام، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ لا يتركهم لمرارة العتاب تُمِرَّ حياتهم، ولكنه تداركهم بحلاوة الملاطفة لِيَحْلوا لهم مذاق الإيمان.

وهذه الجملة، كالتعليل لجملة العفو قبلها، كأنه قيل: ولقد عفا عنكم متفضِّلًا؛ لأنه ردكم إلى الاعتصام بوصائل الإيمان.

ثم عاد ربنا تبارك وتعالى بعائدة العفو مرة أخرى فختم بها آية التعيير بمعصية التولِّي عند التقاء الجمعين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران]». [محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٢٠-٦٢٢].

١٤ ـ الهزيمة ليست سببًا في النجاة:

يقول أ/ خلف الله: «إن الهزيمة لا تؤدي إلى الراحة والنجاة كما يظن المنهزم بل إنها تؤدي إلى غم متصل وكرب مقيم، فالثبات إذن أولى من الفرار وأكمل: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران]». [غزوة أُحد لخلف الله ١٧٨].

١٥ ـ مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد:

يقول د/ البوطي: «إذا تأملنا مدة الحرب التي استمرت بين المسلمين وأعدائهم في هذه الغزوة وجدناها تنقسم إلى شطرين:

الشطر الأول: وفيه التزم المسلمون أماكنهم وأوامرهم التي كانوا قد تلقوها من قائدهم ﷺ، فما الذي كان من ثمرة ذلك؟ لقد سارع النصر إلى المسلمين وسارعت الهزيمة إلى صفوف المشركين، وما

هو إلا أن اكتسح الرعب أفئدة الآلاف الثلاثة فانحسروا عن أماكنهم وأخذوا يولون الأدبار، وهذا الشطر هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾[آل عمران: ١٥٢].

والشطر الثاني: وفيه أخذ المسلمون ينطلقون خلف المشركين ليجهزوا على من يدركونه منهم وليأخذوا الغنائم والأسلاب، وحينئذ نظر الرماة من فوق الجبل الذي كانوا يتمركزون فيه، إلى إخوانهم وهم يضعون السيوف في أعدائهم اللائذين بالفرار ويعودون بالأموال والغنائم، فرغب بعضهم أن يشتركوا معهم في الغنيمة، وخيلت إليهم هذه الرغبة أن الفترة الزمنية للأوامر التي تلقوها من رسول الله ﷺ قد انتهت، فهم في حِلٍّ منها وهم في غنى عن انتظار إذن رسول الله ﷺ لهم بمغادرة أماكنهم، وهو اجتهاد خالفهم فيه بعض زملائهم وفي مقدمتهم أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ، ولكن أصحاب هذا الاجتهاد نزلوا وانطلقوا يشاركون في أخذ الغنائم... فما الذي كان من نتيجة ذلك؟

لقد كان أن انقلب الرعب الذي داهم أفئدة المشركين إلى استبسال جديد! وكان أن تفتحت أسباب الحيلة والمكر لدى خالد بن الوليد الذي كان يولي هاربًا، فنظر حوله متأملًا، فوجد الجبل المحصن قد خلا من حماته وحراسه، فلمعت الفكرة العسكرية في رأسه، وما هو إلا أن استدار إلى الجبل ومن معه من المشركين فقتلوا مَنْ بقي ممن لم ينزل وأوجعوا المسلمين رميًا بالسهام من خلفهم، وجاء الرعب هذه المرة ليغزو أفئدة المسلمين كما رأينا.

وهذا الشطر من المعركة هو الذي علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢].

وانظر...! كم كان وبال هذه الخطيئة جسيمًا، وكم كانت نتيجتها عامة؟

لقد عادت خطيئة أفراد قليلين في جيش المسلمين، بالوبال عليهم جميعًا، بحيث لم ينج حتى رسول الله ﷺ من نتائجها، وتلك هي سنة الله في الكون، لم يمنعها من الاستمرار أن رسول الله ﷺ موجود في ذلك الجيش، وأنه أحب الخلق إلى ربه ﷻ.

فتأمل أنت في نسبة خطيئة هؤلاء الأفراد، إلى خطيئة المسلمين المختلفة المتنوعة اليوم والمتعلقة بشتى نواحي حياتنا العامة والخاصة، تأمل هذا لتتصور مدى لطف الله بالمسلمين إذ لا يهلكهم بما تكسب أيديهم، وبتقاعسهم حتى عن أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماع في كلمة واحدة على ذلك.

وإذا تأملت في هذا، علمت الجواب على سؤال بعضهم اليوم عن الحكمة من أن الشعوب الإسلامية تظل مغلوبة على أمرها أمام الدول الباغية الأخرى، رغم أن هؤلاء كفرة وأولئك مسلمون».

[فقه السيرة للبوطي ١٩٢-١٩٣].

١٦ ـ الوقوف على صفات أهل الباطل:

يقول أ/ خلف الله:

١ـ إن الباطل لا يمكن أن ينال من الحق شيئًا: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٧٦].

٢ ـ إن دولة الباطل مآلها إلى الاضمحلال حتمًا أمام سطوة الحق: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آل عمران].

٣ ـ إن دولة الباطل في شقاء دائم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران].

٤ ـ ابتلاء أهل الباطل بالرعب: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران].

٥ ـ إن أهل الباطل لا يرضون إلا إذا ردوا أهل الحق على أعقابهم حتى يطمئنوا إلى عدم وجود من يدحض باطلهم ويكشف أمرهم للناس، ولو وافقهم أهل الحق على باطلهم لخسر الجميع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران]». [غزوة أُحد لخلف الله ١٧٩].

١٧ ـ تدريب الأعصاب على قوة الاحتمال:

يقول أ/ خلف الله: «إن حرب الأعصاب سلاح فتاك وتستخدمه الدول في العصر الحديث في الحرب والسلم، وقد تكتفي الدول البارعة في إدارة دفة هذه الحرب باستخدامه ضد عدوها فيغنيها ذلك عن الحرب الساخنة، والشعب الذي يفوق غيره في قوة الأعصاب هو الذي ينتصر في هذه الحرب.

ولا يدرب الأعصاب على قوة الاحتمال والجلد سوى الحوادث والأزمات: وذو الأعصاب المتزنة القوية هو الذي يصمد ولا يتغير فيما يحب أو يكره في الظفر والهزيمة، أما ضعيف الأعصاب فإنه ينهار سريعًا ويخطئ تبعًا لذلك في تصرفاته.

وكانت أهم نقط الضعف في الألمان أن أعصابهم تكون قوية طالما كان النصر حليفًا لهم، أما إذا بدأت الهزيمة فإنهم ينهارون سريعًا، وقد عرف الحلفاء في الألمان هذا الضعف فاستغلوه في حربهم معهم.

والشعب القوي هو الذي لا يفقد روحه المعنوية في حالتي النصر والهزيمة، بل إن الهزيمة تزيد وقدة الروح المعنوية اشتعالًا.

وقد بين الله سبحانه للمؤمنين هذه القاعدة فنهاهم عن الاستسلام والاستكانة مهما نال العدو منهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران].

فالمؤمن الصادق لا يعرف الهزيمة ولا يعرف الضعف ولا الاستكانة بل هو في جهاد صادق، **فإما أن ينتصر وإما أن يستشهد**، فإذا انتصر فبها ونعمت، وإذا استشهد فحسبه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران]». [غزوة أُحد لخلف الله ١٨١-١٨٢].

١٨ ـ آلام عظيمة:

يقول أ/ فتح الباب: «على أن أحزان المسلمين على ما أصابهم في أحد كانت أحزانًا تسمو بالروح أكثر مما تسمو به الأفراح، كانت أحزانًا نبيلة تمثل أعمق وأصفى ما في النفس البشرية من ينابيع الطهر والضياء، ولم تكن أحزان مَنْ يبتغي الثأر وإعلان القوة يطلبها فينالها فيكون منتصرًا، أو يفقدها فيكون منهزمًا، بل كانت آلام نفوس عظيمة أمضها ما حال بالقيم الإنسانية ـ مجسدة في شهدائها ـ من عدوان غاشم؛ ولأنها كذلك فإن أثرها لم يدم طويلًا كما سنعرض لذلك في سرايا النبي ﷺ بعد غزوة أحد.

كانت مصفاة طهرت الروح مما شابها حينًا من ضعف كان أهم أسباب النكبة، وهو تهافت الرماة على الغنائم وترك مواقعهم مخالفين بذلك الخطة التي رسمها النبي ﷺ وأوصاهم باتباعها وعدم الانحراف عنها مهما كانت الأحوال، ولم يدم هذا الأثر طويلًا؛ لأن القيم الإنسانية لا تموت بموت بعض أصحابها، بل تزداد قوة في نفوس من يخطئه الموت فيبقى ليخلف الشهداء، ويواصل من بعدهم الرسالة حتى ينتصر أو يستشهد، فيأخذ مكانه فدائي مناضل جديد، وهكذا.

فالقيم باقية بقاء الروح، وبقاء الروح مرتبط ببقاء الجنس الإنساني الذي كتب الله ﷻ له أن يحيا حتى يوم البعث.

لا حياة دائمة للجسد، ولكنها الروح، ومن ثم فإن القيمة لا تفنى طالما عاشت البشرية.

ونخلص من هذا إلى أنه لا خوف من الهزيمة المؤقتة على حركة المقاومة طالما كانت هناك أنفاس مهما قلت أو ضعفت تتردد في الصدور؛ لأن الروح القوية لا تضعف بنقصان العدد، كما أنها لا تزيد قوة بزيادته، وهي لا تضعف بما يصيب الجسم من جراح؛ لأنها قادرة على مقاومة المرض واستئصال

الداء، وموت الشهداء يمثل ما يصيب الأمة الإسلامية من نقص في عدد أبنائها المكافحين، وما يصيب الجسد من جرح في أحد أعضائه، فإن هذه الخسارة أو الإصابة لا تلحق بالروح طالما ارتفعت بقوتها الكامنة فوقها فعوضتها.

بيد أن هذه الخسارة أو الإصابة قد يطول الأمد على تعويضها وعلاجها، فتظل الروح حينًا حائرة غير مستقرة، ولا تتحقق الأهداف المنشودة في موعدها، وذلك إذا لحق الموت أو العجز بعضو حيوي في جسم الجماعة يكون منه بمثابة القلب أو الرأس، ونعني بذلك موت القائد، هنالك يعظُم المصاب، وتشتد المحنة؛ لأن العِوض عنه عزيز.

صحيح أن الجماعة لا تفنى ولكنها تظل تعاني من غيبة القائد وافتقادها جهوده زمنًا قد يقصر وقد يطول، ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من رجال ونساء يدركون هذا المعنى، فكانوا يلتفون حوله في كل موطن، ويزداد التفافهم في أوقات الشدة، ليس وفاء منهم فحسب ـ كما يعلل المؤرخون والباحثون ـ وإنما خوفًا على مصير الدعوة الإسلامية من بعده، ومن الطبيعي أن يزداد إشفاقهم على الرسالة حين كان الصراع ما يزال مريرًا بينهم وبين قريش، وأن يقل كلما تزايدت الانتصارات ورسخت بذلك الدعوة». [القيم الخلقية والإنسانية في الغزوات لفتح الباب ٧٥-٧٧].

١٩ ـ ملحمة بطولية في التاريخ الإسلامي:

يقول د/ أبو فارس: «لقد كانت غزوة أحد ملحمة بطولية في التاريخ الإسلامي، تجلت فيها صور بطولية رائعة، يتطاول بها وبأمجادها الزمان، فيها أقدم الرجال والنساء على الموت كأنهم قادمون على عُرس، بسرور وحبور، إنهم لا يهابون الموت، بل إنهم طلبوه لتوهب لهم الحياة السعيدة الهنيئة المريئة الخالدة عند الله ﷻ، في جنة فيها نعيم مقيم، ورضوان من الله أكبر.

إن المسلم يعتقد في عقيدته أن الدنيا والحياة فيها لا وزن لها في الآخرة، والذي يركن إليها مغرور مخدوع لا يعرف مصلحته الحقة.

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣ ﴾[لقمان].

والكيس حقًّا هو من لم يُتبع نفسه هواها، بل من دانها وعمل إلى ما بعد الموت.

وفي هذه العجالة سنعرض صورًا ونماذج من بطولات المسلمين في أحد:

(١) **الزبير بن العوام** ﷺ: ومن الذين أبلوا بلاء حسنًا في المعركة، وقاتلوا قتال الأبطال، ودوخوا صناديد قريش، وثبتوا ثبات الشم الرواسي، الزبير بن العوام ﷺ حواري رسول الله ﷺ، فلقد أبدى صورًا من الشجاعة منقطعة النظير.

ومن هذه الصور ما جاء في كتب السيرة أن رجلًا من أبطال المشركين خرج على بعير له يطلب المبارزة، فأحجم عنه الناس، حتى دعا ثلاثًا، فقام إليه الزبير ﷺ، فوثب حتى استوى معه على البعير، ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير، فطرح الزبير ﷺ المشركَ من على ظهر البعير إلى الأرض، وذبحه كما يذبح الشاة، فلما رآه النبي ﷺ سُرَّ سرورًا عظيمًا، وأثنى عليه.

(٢) **أبو دجانة** ﷺ: بطل من أبطال الصحابة، دفع إليه رسول الله ﷺ سيفه مع تنافس الصحابة عليه، وفيهم الزبير بن العوام ابن عمة النبي ﷺ وحواريه لم يعطه السيف، بل أعطاه إلى أبي دجانة ﷺ على أن يضرب به أعناق المشركين حتى ينحني، فهل قام أبو دجانة ﷺ بهذا الشرط؟

نعم قام به خير قيام كما سبق بيانه في هذا المبحث.

وحين انكشف كثير من المسلمين عن رسول الله ﷺ، وبقيت قلة تقاتل دونه، وتدفع عنه، وأخذوا يتساقطون أمامه واحدًا واحدًا، وازدادت كثافة النبال المنهمرة على رسول الله ﷺ، والموجهة إليه من كل حدب وصوب، خشي أبو دجانة ﷺ أن تصيب سهام المشركين رسول الله ﷺ، فما كان منه إلا أن ترَّس بنفسه دون رسول الله ﷺ، يقع النبل في ظهره، وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل، وهو لا يتململ ولا يتحرك ولا يجزع.

أي بطولة هذه؟! أي ثبات هذا؟! أي تضحية هذه؟!

إن البطولة تتجلى في أبداع صورها وأبهى حللها في أبي دجانة سماك بن خرشة ﷺ.

فهو ﷺ ليس بحاجة إلى شهادتنا وشهادة غيرنا من الناس، وقد شهد له ﷺ بذلك.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ إِلَى أَهْلِهِ نَاوَلَ سَيْفَهُ ابْنَتَهُ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: **اغْسِلِي عَنْ هَذَا دَمَهُ يَا بُنَيَّةَ، فَوَالله لَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ**، وَنَاوَلَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ سَيْفَهُ فَقَالَ: **وَهَذَا أَيْضًا، فَاغْسِلِي عَنْهُ دَمَهُ، فَوَالله لَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَ القِتَالَ لَقَدْ صَدَقَ مَعَكَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَأَبُو دُجَانَةَ**. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ١٠٠].

(٣) **عباس بن عبادة الخزرجي وخارجة بن زيد الأنصاريان** رضي الله عنهما:

لما خالف الرماة أمر الرسول ﷺ ونزلوا عن الجبل، وكثر المشركون عليهم وأعملوا فيهم سيوفهم من الخلف، وتفرق من تفرق لهول الصدمة ومباغتتها، أقبل عباس بن عبادة ﷺ في نفر من الخزرج يرفع صوته قائلًا: **يا معشر المسلمين! الله ونبيكم! هذا الذي أصابكم بمعصية نبيكم: فيوعدكم النصر فما صبرتم**، ثم نزع مغفره، وخلع درعه وقال لخارجة بن زيد: **هل لك فيهما؟** قال: **لا أنا أريد الذي تريد.**

فخالطوا القوم جميعًا، وعباس يقول: **ما عذرنا عند ربنا إن أصيب رسول الله ﷺ ومنَّا عين تطرف؟** فيقول خارجة: **لا عذر لنا عن ربنا ولا حجة**، فقاتل عباس حتى استشهد، أما خارجة فقد أخذت

طعنات الرماح تمزق جسده حتى أنهكته فوقع على الأرض، فمر عليه مالك بن الدخشم فقال لهم: **أما علمت أن محمدًا قد قتل؟** فقال خارجة: **فإن كان محمد قد قتل فإن الله حي لا يموت، لقد بلَّغ محمد فقاتل عن دينك**، ثم استشهد رحمه الله.

(٤) **طلحة بن عبيد الله** ﷺ: ومن الأبطال الذين أبلوا بلاء حسنًا في أحد طلحة بن عبيد الله ﷺ، فقد قاتل قتالًا شديدًا دفاعًا عن رسول الله ﷺ حين انكشف عنه كثير من المسلمين، وكر المشركون على رسول الله ﷺ فأحدقوا به من كل ناحية، وصار يذب بالسيف من بين يديه ومن ورائه، وعن شماله، يدور حوله يترس بنفسه دون رسول الله ﷺ، وأن السيوف لتغشاه، والنبل من كل ناحية، وهو يتلقاه بجسمه، فلما رآه ﷺ يفعل ذلك قال له: قد أوجب، أي قد أوجب لنفسه الجنة بقتاله وجهاده ودفاعه عن رسول الله ﷺ.

ورمى مشرك اسمه مالك بن زهير الجشمي بسهم يريد رسول الله ﷺ، فاتقاه طلحة بيده عن وجه رسول الله ﷺ، فأصاب خنصره فشل.

ولما تراجع المسلمون في الجولة الثانية أقبل رجل من بني عامر بن لؤي يصيح: دلوني على محمد، فضرب طلحة عرقوب فرسه فسقط على الأرض، ثم طعنه وقتله.

وأصيب يومئذ في رأسه، ضربه أحد المشركين ضربة وهو مقبل وضربه وهو معرض عنه، فنزف الدم حتى غشي عليه، فنضح أبو بكر ﷺ الماء في وجهه، حتى أفاق، فقال: **ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: خيرًا، هو أرسلني إليك، قال: الحمد لله كل مصيبة بعده جلل.**

(٥) **الحباب بن المنذر** ﷺ: حامل لواء الخزرج في أحد، وكان ﷺ يحوش المشركين كما تحاش الغنم، وتجمعوا عليه حتى قيل قد قتل، ثم برز والسيف في يده وافترقوا عنه، ويجعل يحمل على فرقة منهم، وإنهم ليهربون منه، وكان يومئذ معلمًا بعصابة خضراء في رأسه». [غزوة أُحد لأبي فارس ١١١-١١٦].

٢٠ ـ أخذ القدوة من جهاد الصحابة ﷺ:

موقف من جهاد حمزة ﷺ واستشهاده: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر منها: بيان شجاعة حمزة بن عبد المطلب ﷺ العظيمة، فلقد ذكر وحشي قتله لأحد المبارزين من المشركين بصورة تدل على قوة حمزة ﷺ وشجاعته الخارقة ومقدرته الحربية الفائقة.

وذكر الحافظ ابن حجر عن رواية الطيالسي لهذا الخبر: «فإذا حمزة كأنه جمل أورق ما يرفع له أحد سيفه إلا قمعه بالسيف فَهِبْتُهُ»، قال: وعند ابن عائذ: «فرأيت رجلًا إذا حمل لا يرجع حتى يهزمنا، فقلت من هذا؟ قالوا: حمزة، قلت: هذا حاجتي». [فتح الباري ٧/ ٣٦٩].

وهذا يعني أنه كان متلثمًا فلم يعرفه وحشي، لكن أهل الخبرة الحربية يعرفونه بجلاده لتميزه عن غيره في الحرب.

وجاء في رواية ابن إسحاق: ويهدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء». [سيرة ابن هشام ٣/ ١٩].

وهذا يدل على مقدار شجاعة حمزة ﷺ أسد الله وأسد رسوله ﷺ، ومبلغ النكاية التي أوقعها بالكفار في تلك المعركة». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٩].

من مواقف سعد بن أبي وقاص ﷺ الجهادية: يقول د/ الحميدي: «في هذه الأخبار مواقف لسعد بن أبي وقاص ﷺ: في حبه العظيم لرسول الله ﷺ حيث زال عنه كل ما يجد من الغم والحزن لما رأى النبي ﷺ سالمًا، وتجددت له طاقة عالية وحماس قوي نحو الجهاد.

في إسهامه الكبير في رماية الأعداء، وسلاح الرماية أمضى في العدو من سلاح المواجهة خصوصًا إذا كان الرمي من رام ماهر كسعد ﷺ.

وإنه لجهد كبير أن يرمي فرد واحد بألف سهم في بعض يوم.

ولقد حاز سعد على شرف دعاء النبي ﷺ له بتسديد رميته وإجابة دعوته، فكان بعد ذلك مشهورًا بدقة الإصابة في الرمي وإجابة الدعاء.

كما حاز على شرف فداء النبي ﷺ إياه بأبيه وأمه، وقد أخرج الإمام البخاري خبر ذلك عن سعد ﷺ قال: «نَثَلَ لِي النَّبِيُّ ﷺ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «**ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي**». [البخاري في المغازي (٤٠٥٥)].

وهذا الخبر يدل على دقة سعد ﷺ في الرماية وجودته في إصابة الهدف، وقد أراح المسلمين من اثنين من رماة الكفار كانا قد أضرا بالمسلمين، فكم هي الجهود الكبيرة التي بذلها سعد ﷺ لرسول الله ﷺ والمؤمنين في تلك المعركة!

ولقد كان لسعد ﷺ شرف القيام بإهباط المشركين من الجبل بالرماية الهادفة المسددة كما ذكر الأموي في مغازيه: أن المشركين صعدوا على الجبل، فقال رسول الله ﷺ لسعد ﷺ: «ارددهم)، فقال: كيف أردهم وحدي؟ فقال ذلك ثلاثًا، فأخذ سعد سهمًا من كنانته فرمى به رجلًا فقتله، قال: ثم أخذت سهمي أعرفه فرميت به آخر فقتلته، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم. [سبل الهدى والرشاد للصالحي ٤/ ٢١١].

في هذا الخبر موقف إيماني لسعد بن أبي وقاص ﷺ، ببراءته من أهل الشرك وإن كانوا من أقرب الناس إليه، فقد حرص على قتل أخيه عتبة لإصابته رسول الله ﷺ، وهكذا كان الصحابة ﷺ يلغون عامل القرابة إذا تعارض مع الدين، وهذا دليل على قوة إيمانهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧١-١٧٣].

موقف جهادي لطلحة وعدد من الصحابة ﷺ: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر بيان لموقف جهادي عظيم لطلحة بن عبيد الله وعشرة من الأنصار لم تُذكر أسماؤهم.

هذا الجهاد تم في أخطر مرحلة من مراحل المعركة، وذلك حينما أُصيب المسلمون بالذهول لهول المفاجأة بهجوم خيول العدو من خلفهم وإشاعة أن رسول الله ﷺ قد قُتل، فقرر النبي ﷺ الانسحاب عن مركز القيادة بمَنْ بقي معه للاعتصام بجبل أحد، فتولى طلحة ورفاقه حماية النبي ﷺ حتى تمت علمية الانسحاب بسلامة النبي ﷺ بعد أن قدَّم الأنصار العشرة أرواحهم فداء له.

وإن ما قام به هؤلاء الأنصار يعتبر تضحية خالدة وعملًا عظيمًا نالوا به الشرفين: شرف حماية النبي ﷺ والإسلام، وشرف الظفر بالشهادة، فرضي الله عنهم أجمعين.

أما طلحة بن عبيد الله ﷺ فإنه كان يتقدم في كل مرة فيبقيه النبي ﷺ، لا حماية له وإنما ادخارًا لموقف أكثر صعوبة وأبلغ خطرًا، وقد مثَّل هذا الموقف أبلغ تمثيل حيث قاتل المشركين وحده كقتال العشرة من الأنصار، حتى عرف أبو بكر وأبو عبيدة ومن اجتمع من الصحابة ﷺ موقع النبي ﷺ فقاموا جميعًا بإكمال تلك المهمة.

وهذا موقف عظيم في التضحية والشجاعة يُذكر لطلحة بن عبيد الله ﷺ، مما حدا بأبي بكر ﷺ إلى أن يقول: «**ذَاكَ كُلُّهُ يَوْمُ طَلْحَةَ**». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٩].

ويقول د/ الحميدي: «هذه الأخبار تبين لنا الجهد الكبير الذي بذله طلحة بن عبيد الله ﷺ بشهادة هؤلاء الصحابة الكرام من الدفاع عن رسول الله ﷺ ووقايته من سلاح الأعداء، ولقد استمر يجمع بين حماية النبي ﷺ والدفاع عنه حتى فاء عدد من الصحابة ﷺ، وكان طلحة قد أُغمي عليه من كثرة ما واجه من سلاح الأعداء.

ولقد استحق بهذا ثناء النبي ﷺ والحكم له بأنه قد أدى ما عليه كاملًا.

كما اشتملت هذه الأخبار على موقف جليل لعلي بن أبي طالب ﷺ الذي أثنى على طلحة ﷺ ودافع عنه بالرغم مما جرى بينهما من خلاف، ولقد ذكره بأبرز موقف تفوَّق فيه على غيره من الصحابة.

وهذا دليل على مبلغ الرقي الأخلاقي الذي وصل إليه الصحابة ﷺ حيث كانوا يُشيدون بإخوانهم ويذكرون محاسنهم، وإن وقع الخلاف بينهم إلى حد المواجهة في الميدان.

كما أن في هذا الخبر وصفًا لشجاعة علي بن أبي طالب ﷺ حيث كان وحده يقاتل كتيبة من كتائب المشركين فلم يستطيعوا إصابته». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٦٣].

موقف جهادي لأبي طلحة ﷺ: يقول د/ الحميدي: «تبين لنا من هذه الأخبار شيء من مواقف أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري الخزرجي ﷺ، وقد تبين من مظاهر خبرته الحربية مهارته في

الرمي وجهوده الكبيرة في الدفاع عن النبي ﷺ والإثخان في الكفار بسلاح الرماية، كما أنه كان جهير الصوت ويرعب الأعداء بصوته مما جعل النبي ﷺ يعتبره بصوته المرعب عن فئة من الجيش.

هذا إضافة إلى ما قام به من وقاية النبي ﷺ بنفسه حيث جعل من جسده تُرسًا له دون سلاح الأعداء». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٥].

موقف جهادي لعمارة بن زياد ﷺ وعدد من الأنصار ﷺ: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف لعمارة بن زياد بن السكن الأنصاري الأشهلي ﷺ وعدد من الأنصار ﷺ في حماية النبي ﷺ والدفاع عنه في موقف من أشد المواقف حاز فيه عمارة شرف الشهادة بعد أن أبلى بلاء حسنًا هو وأصحابه ﷺ». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٦].

موقف جهادي لسهل بن حنيف ﷺ: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر موقف جهادي لسهل بن حنيف ﷺ، حيث كان من الذين ثبتوا مع النبي ﷺ وبايعوه على الموت في حال إصابة المسلمين وتفرقهم، وقد كان من الرماة المشهورين، فبذل طاقة كبيرة في الرماية حماية لرسول الله ﷺ ودفاعًا عنه».

[التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٧].

موقف جهادي لشماس بن عثمان المخزومي ﷺ: يقول د/ الحميدي: «وهكذا حوَّل شماس بن عثمان المخزومي ﷺ من جسمه إلى تُرس يقي به رسول الله ﷺ من سلاح الأعداء إلى جانب الدفاع عنه بسيفه، حتى إذا غُشي على رسول الله ﷺ ترَّس بنفسه دونه حتى استشهد ﷺ.

وفي هذا الخبر وأمثاله نستشف مثلًا من أمثلة العظمة حيث تذوب الأجسام في مراد العقول السليمة يتمثل بالطموح العالي نحو بلوغ رضوان الله تعالى والجنة، فيتعرض أولو الألباب لمواطن الشهادة التي فيها رجاء الوصول السريع لتحقيق ذلك الهدف العالي». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٧٨].

موقف الشيخين الشهيدين: يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

الأول: ما كان من ذينك الشيخين الكبيرين حُسيل بن جابر (اليمان)، وثابت بن وقش الأنصاريين ﷺ، حيث اشتاقت نفوسهما إلى الاستشهاد في سبيل الله تعالى، فخرجا إلى الجهاد مع كونهما ممن عذرهما الله سبحانه بالقعود لكبر سنهما، لكن دفعهما إلى الخروج رغبتهما في الشهادة التي هي غاية أماني المؤمنين المتقين، وقد حصل لهما ما أرادا من ذلك ﷺ.

الثاني: موقف لحذيفة بن اليمان ﷺ حينما سامح المسلمين الذين قتلوا أباه خطأ وتصدق بديته على المسلمين، مما أثار إعجاب النبي ﷺ به وزاد في مكانته عنده». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢١].

موقف جهادي للحارث بن الصمة ﷺ: يقول د/ الحميدي: «فأما الحارث ﷺ فإنه تصدى لعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي مع كونه قد حصَّن نفسه بالحديد الواقي من السلاح، وبذلك وقى رسول الله ﷺ من ذلك الذي أقبل يريد قتله». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٧].

موقف جهادي لوهب المزني وابن أخيه ﷺ:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف منها:

أولًا: بيان الجهد الكبير الذي بذله في الجهاد وهب بن قابوس المزني وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس ﷺ، حيث تركا ما قَدِمَا من أجله من بيع غنمهما في المدينة وخرجا إلى موقع المعركة في أحد، ولم يكن لهما دافع إلى الخروج إلا نصرة الإسلام والمسلمين، ولقد بذل كل واحد منهما جهدًا كبيرًا في صد الأعداء والنكاية بهم حتى سقطا شهيدين.

وإننا لنجد في هذا الخبر مثلًا لقوة تمثُّل الحياة الآخرة في أذهان الصحابة، فحينما بشَّر النبي ﷺ وهبًا المزني بالجنة قام مسرورًا وهو يقول: «**لا أقيل ولا أستقيل**»، فقد اشترى الجنة بنفسه وطلب موطن الشهادة بعدما أثخن في العدو، ونجد أن الصحابة يتمنون أن يموتوا تلك الميتة التي رافقها ضمان دخول الجنة.

وهذا الشعور القوي نحو الحياة الآخرة هو الذي أنتج العجائب في حياة الصحابة ﷺ، حيث أصبحوا قوة عظمى على قلة العدد وضعف العُدد، واشتهر في أوساط الأمم أن المسلمين لا يمكن أن يقف لهم أحد مهما كانت قوة استعداده وكثرة جنوده.

ثانيًا: موقف جليل لسعد بن أبي وقاص ﷺ في تذكر خبر وهب المزني ﷺ بالرغم من مرور ثلاث عشرة سنة تقريبًا على غزوة أحد لمجرد مرور اسم رجل من عشيرته عليه، وهذا يعني اهتمام الصحابة ﷺ بأخبار أهل الفضل والمواقف الحميدة في الإسلام، وكذلك ينبغي أن يُشادَ بأهل المكارم والمحامد لتحصل الأسوة الحسنة بهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٥٤-١٥٥].

هذه المواقف الجهادية «صورة للرجولة الفارعة التي اصطدم بها الكفر أول المعركة وآخرها، فماد أمامها، واضطربت من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئًا في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره.

وهذا اللون من البطولة مدفون تحت جدران التاريخ الإسلامي القائم إلى اليوم، وما يقوم للإسلام صرح، ولا ينكشف عنه طغيان إلا بهذه القوى المذخورة المضغوطة في أفئدة الصدِّيقين والشهداء.

مَنْ سرُّ هذا الإلهام؟ من مشرق هذا الضياء؟ من مبعث هذا الاقتدار؟

إنه محمد ﷺ! إنه هو الذي ربَّى ذلكم الجيل الفذ، ومن قلبه الكبير أترعت هذه القلوب تفانيًا في الله، وإيثارًا لما عنده». [فقه السيرة للغزالي ٢٦٧-٢٦٨ ط دار القلم].

٢١ ـ مواقف النساء الجهادية:

يقول د/ بامدحج: «مرت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة بمرحلتين، كان للمرأة المسلمة دور فعال في نشر الدين الإسلامي، ولما انتقلت الدعوة الإسلامية إلى المدينة فُرض الجهاد في سبيل الله، وكان لها دور بارز في الإسهام في حماية الدين الإسلامي، فقد شاركت المرأة المسلمة في كثير من الغزوات، وكانت غزوة أُحد أول معركة في الإسلام تشارك فيها المرأة المسلمة، وكان لها أثر بالغ في سقي المحاربين، وتضميد الجرحى.

وكما كانت غزوة أحد مجالًا لإبراز بطولات الرجال، فقد كانت أيضًا مجالًا لإظهار بطولات النساء وصدقهن، فقد كان خروج نساء المشركين إلى أُحد لضرب الدفوف والغناء وإثارة الأحقاد والتمثيل بالقتلى وجدع الأنوف والآذان والتزين بها، وبقر بطون الشهداء، ولكن المرأة المسلمة خرجت لأغراض نبيلة وسامية، فقد خرجت مع المسلمين للدفاع عن الدعوة الإسلامية بطرق مختلفة، فقد خرجت بعض النسوة المسلمات لكي يسقين العطشى ويداوين الجرحى، ومنهن من قامت برد ضربات الكفار الموجهة للرسول ﷺ وذُكر منهن: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وأم عمارة، وحمنة بنت جحش الأسدية، وأم سليط، وأم سليم، ونسوة من الأنصار. [**شرح النووي لصحيح مسلم ١٢/ ٥١١ كتاب الجهاد والسير (١٧٧٩)**].

[**غزوة أحد لبامدحج ٢٢٨**].

ويقول د/ الحميدي: «في هذه الأخبار مواقف منها:

الموقف الأول: الإشارة إلى الدور الذي كانت تقوم به النساء في العهد النبوي من الأعمال الجهادية، حيث كنَّ يقمن بحمل الماء وسقي المجاهدين والاستعداد بمواد الإسعافات لتضميد الجرحى وغير ذلك من الخدمات التي يقدِّمْنَها للمجاهدين.

ولقد ظلت نساء المسلمين يقمن بهذه الخدمات الجهادية بعد ذلك في عصر الفتوحات الإسلامية.

الموقف الثاني: ما قامت به أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنها من التحول عن أداء مهامِّها كامرأة إلى أداء مهام الرجال الجهادية، وذلك حينما وقعت الإصابة على المسلمين، وأُفْرِدَ النبي ﷺ في نفر من أصحابه، فرأت أم عمارة أن واجبها آنذاك أكبر من تقديم الخدمات المساعدة فباشرت قتال المشركين دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وحصل منها ما ذُكر في هذه الأخبار من التصدي للأعداء والمشاركة في رد هجماتهم.

إن هذه الأعمال الجهادية الخشنة لا يستغرب صدورها من الرجال؛ لأنهم ـ خصوصًا في ذلك العهد ـ قد مَرَنوا عليها وألفَتْ عليها أجسامهم، لكن صدور ذلك من النساء أمر غير مألوف عادة، فكَوْن أم عمارة رضي الله عنها تقوم بذلك الجهد الكبير وتواصل الدفاع عن النبي ﷺ رغم إصابتها بتلك الجراح التي

بلغت ثلاثة عشر يعتبر تضحية كبيرة وطاقة عالية غير معتادة، ولا يشك المتأمل بأن هذه الصحابية الجليلة قد حظيت بعون من الله تعالى جعلها تصمد ذلك الصمود العجيب وتقدِّم ذلك الجهد الكبير.

ومن المدهش في خبر تلك المرأة العظيمة أنها لم تُقدِّم نفسها في الجهاد فحسب بل قدَّمت ابنيها ليكونا فداء للنبي ﷺ، ولئن كان الدافع لدى زوجها وابنيها مألوفًا في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم، فإن صدور ذلك من أمهما وهي تشاهدهما وتتوقع في أي لحظة أن يكونا تحت سنابك الخيل شهيدين.

إن ذلك يعتبر مثالًا عاليًا لقوة الإيمان ورسوخ اليقين.

فلهذه الأفاعيل الكبيرة والتضحيات العالية من أم عمارة رضي الله عنها بنفسها وبحثٍّ بنيها على الجهاد نجد رسول الله ﷺ يثني عليها ذلك الثناء الطيب، ولكنها لقوة إحساسها بالحياة الآخرة وشدة استحضارها لما أعده الله تعالى لأهل الجنة من النعيم المقيم لا تكتفي بسماع ذلك الثناء من رسول الله ﷺ بل تَهْتَبل هذه الفرصة الغالية لتطلب منه ﷺ أن يدعو الله تعالى لها ولأفراد أسرتها بمرافقته في الجنة، وهي تعلم علم اليقين أنه في أعلى عليين.

ونجد أم عمارة رضي الله عنها مع هذا الجهد الكبير والجراح المتعددة المؤلمة تقوم لتَشُدَّ عليها ثيابها لما سمعت منادي رسول الله ﷺ يدعو المسلمين لملاحقة جيش العدو في حمراء الأسد، ولكنها لم تستطع المشاركة في هذه المهمة؛ لأن جراحها ما زالت تنزف دمًا، فأي عزيمة كانت تملكها تلك المرأة، وأي حيوية كان يشتمل عليها قلبها الكبير؟!

إن الطاقة لدى الفرد المسلم لا تحدها الحدود المعتادة إذا كان وراء تلك الطاقة إيمان قوي محرك، وإذا كانت هذه المرأة المؤمنة قد قامت بهذه العجائب، وهي لم تكن مؤهلة لذلك بحكم طبيعتها النسوية، فكيف بالرجال إذا ملكوا ذلك الإيمان القوي الحيوي؟!

وتمر الأيام ويقع المسلمون في لحظات حرجة جدًّا وهم يواجهون أعنف مقاومة واجهوها في حروب الردة، وتبرز أم عمارة رضي الله عنها بصحبة ابنها لتبحث عن رأس المشركين المرتدين مسيلمة الكذاب، وهي تريد أن تتصدى لقتله وإراحة المسلمين منه، ولا تبالي وهي تدفع نفسها لهذا الهدف العالي بيدها التي قُطعت وهي تؤدي هذه المهمة؛ لأن الله تعالى قد أبقى لها اليد الأخرى التي بإمكانها أن تبذل بها ما تستطيع من طاقة، ولكن ابنها عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه يسبقها لأداء هذه المهمة فيشارك في قتل رأس الكفر مسيلمة، وتَقَرُّ عين أم عمارة رضي الله عنها بهذه النهاية الحميدة للمسلمين، وبما قدمه ابنها للإسلام والمسلمين من عمل جليل.

الموقف الثالث: ما كان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ من تقدير أهل الفضل وتذَكُّر ما قدمته أم عمارة ﷺ يوم أحد من بلاء وتضحية في سبيل الدفاع عن النبي ﷺ، فحينما وردت عليه ـ وهو في خلافته ـ ملابس مما أفاءه الله تعالى على المسلمين، وكان فيها لباسٌ متميزٌ أرسله إلى أم عمارة ﷺ، وذكر جهادها المشكور، ولم يلتفت إلى من أشار عليه ببعثه إلى زوجة ابنه عبد الله ابن عمر ﷺ.

وهذا موقف يُذكر لأمير المؤمنين عمر ﷺ، ويضاف إلى مواقفه الكثيرة في العدالة وتقديم أهل الفضل والتقدم في خدمة الإسلام والمسلمين». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٨-١٥١**].

أُمُّ عمارة ﷺ تقاتل في أحد:

يقول د/ فيض الله: «شهدتْ أحدًا أُمُّ عمارة نسيبة الأنصارية النجَّارية ﷺ، والدة عبد الله وحبيب ابني زيد بن عاصم، مع زوجها وولديها ﷺ.

ويبدو من مراجعة النصوص أن أم عمارة ﷺ كانت لها مهمة خاصة في هذه الغزوة، وهي أن تحمل الماء على ظهرها، تسقي المؤمنين، وكانت خلال عملها هذا، تدعو للصحابة المجاهدين، وتحرضهم على الرمي، وتحُثُّهم على الاستبسال والبطولة، وتشجعهم على الإقدام والاستشهاد في سبيل الله، وقد قامت بمهمتها على أحسن وجه.

فلما تغير وجه المعركة، وأحيط بالنبي ﷺ ومن معه، ورُشِقوا بالنبال والسهام، ووقعت ساعة الحرج العصيبة، وتَدافع الصحابة لحماية الرسول ﷺ ـ يقونه بأنفسهم، ويترسونه بأجسامهم، يتلقون بها النبال والحجارة ـ انحازت إلى رسول الله ﷺ تباشر القتال وتذُبُّ عنه، حتى جُرحت وسقطت فيمن سقط من الجرحى، بعد أن تصدَّت لفارس من المشركين، فأسقطته قتيلًا.

وتحدَّث الصحابة عن جهادها وبلائها في غير أحد، فقد شهدت وقعة اليمامة، وجُرِحَت يومئذٍ اثني عشر جرحًا، وقُطعت يدها، وقُتِل ولدُها.

وليس ذلك فحسب، فقد شهد لها النبيُّ ﷺ بقوة المقاومة وحسن البلاء، وجميل الدفاع عنه، يوم أُحد، وقال، فيما رواه عنه عمر ﷺ: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شَمَالًا يَوْمَ أُحُد إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِل دُونِي**»

وفي جهاد أُمِّ عمارة الأنصارية ﷺ درس عظيم، وعبرة عظيمة، وتربية مُثلى، ويجدر بنسائنا وبناتنا أن يتَّخذن منها نموذجًا يُحتذى، في فهم الواجب، وسلامة تطبيقه، والتضحية في سبيله، فهل هنَّ فاعلات؟». [**صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة لفيض الله ١٣٠-١٣١**].

٢٢ ـ واتخذ الله من المؤمنين شهداء:

يقول د/ أبو فارس: «لقد سقط في هذه الغزوة سبعون من الشهداء، من خيار صحابة رسول الله ﷺ: خمسة من المهاجرين والبقية من الأنصار عليهم رضوان الله جميعًا، ومن هؤلاء:

(١) **حمزة بن عبد المطلب** ﷺ: قد استشهد ﷺ على يد وحشي غيلة وغدرًا وليس مواجهة، ولقد كان الكفار من أول لحظة بل وقبل أن تتقابل الصفوف حريصين على قتل حمزة ﷺ.

[وقد سبق عرض المؤامرة عليه في المرحلة الأولى قبل المعركة، وكيف كان استشهاده في المرحلة الثانية].

(٢) **مصعب بن عمير** ﷺ: لقد حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قميئة فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضربها فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**)، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه.

ولما قُتل لم يَجد المسلمون ما يغطونه به في قبره إلا نمرة إذا غطوا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطوا رجليه خرج رأسه، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يغطوا بها رأسه ويجعلوا على رجليه إذخرًا (حشيشة طيبة الرائحة).

هذا البطل كان من أنعم فتيان مكة وأكثرهم رفاهية، قبل إسلامه، وبعد أن أسلم، يقول عمر ابن الخطاب ﷺ: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير ﷺ مقبلًا وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: **انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حُب الله ورسوله إلى ما ترون.**

(٣) **سعد بن الربيع** ﷺ: هذا الذي استكتمه رسول الله ﷺ خبر مسير قريش، وكان رسول الله يحبه، فلما انتهت معركة أحد سأل عنه ﷺ كما سبق تفصيله؛ لما له من مكانة عالية عند رسول الله ﷺ، ولما يعلمه عنه ﷺ من بطولة نادرة ﷺ.

(٤) **حنظلة الغسيل** ﷺ: وكان حنظلة عروسًا وكانت ليلة أحد ليلة عرسه، فلما سمع منادي الجهاد، خرج من حضن عروسه ولم يغتسل، وأخذ سلاحه ولحق بالنبي ﷺ، وهو يسوي الصفوف، فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان، فحمل رجل منهم على حنظلة، فأنفذه بالرمح، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْمَلَائِكَةَ تَغْسِلُ حَنْظَلَةَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بِمَاءِ الْمُزْنِ فِي صِحَافِ الفِضَّةِ**». **[الحديث صحيح، أخرجه ابن سعد في الطبقات، وابن إسحاق في السيرة، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠٤ والبيهقي في دلائل النبوة كما في الخصائص الكبرى ١/ ٥٣٨ وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم ٤٢٠ بتحقيق قلعجي وعباس، صفة الصفوة الحاشية ١/ ٦٠٩].**

قال أبو أسيد الساعدي: فذهبنا ننظر إليه فإذا رأسه يقطر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته أنه خرج وهو جنب، فولده يقال لهم: بنو غسيل الملائكة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن امرأته أرسلت إلى أربعة من قومها تشهدهم أنه دخل بها، فقيل لها في ذلك فقالت: **رأيت كأن السماء قد فُرجت له، فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت هذه الشهادة**، وعلقت بعبد الله بن حنظلة. [صفة الصفوة ١/ ٦٠٩].

ما أجمل أن تحذو فتياتنا حذو هذه العروس، وتقتدي بموقفها حين انطلق عروسها حنظلة غسيل الملائكة إلى الجهاد في سبيل الله، فلم تعترض سبيله بل شجعته وهو في ليلة عرسه، وهي تتوقع أن يعود إليها على آلة حدباء محمول، وقد رأت في نومها ما يفيد باتخاذ الله له شهيدًا.

وحين حدث بينهما ما يحدث بين المرء وزوجه، أخبرت أقرباءها حتى تنأى عن مواطن الريب والشبهات». [غزوة أُحد لأبي فارس ٨٤-٨٨].

٢٣ ـ التضحية الغالية (غسِّيل الملائكة ﷺ):

يقول أ/ باشميل: «**هيه أيها الشباب المسلم**: هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة الحقة، أيها الشباب المسلم، وليكن الشباب المسلم الذي يهدف حقًّا إلى إعزاز دينه وأمته على مستوى حنظلة البطل ﷺ من البذل في سبيل الإسلام، الذي السير تحت لوائه بصدق وإخلاص وتضحية هو السبيل الوحيد لإعزاز هذه الأمة وتخليصها من ويلاتها التي أخذت بخناقها في كل بقعة من بقاع الوطن الإسلامي، ويخلصها من تلك الاستكانة والضعف.

فيالها من تضحية وشهامة ورجولة ويقين..؟

شاب يافع يخرج مسرعًا ليجيب داعي الجاهد مختارًا ليلة عرسه، فيترك عروسه التي لم تمض على التقائه بها أكثر من ليلة واحدة، والتي ـ كما يقول المؤرخون ـ تشبثت به وحاولت إقناعه بعدم الخروج كامرأة تغلبها العاطفة، فيتركها ليمضي على عجل ليخوض معركة طاحنة رهيبة، ثم يُقتل فيها راضي البال مرتاح الضمير.

ألا رحمة الله على هذا الطراز من الشباب المؤمن، الذي بأمثاله ـ وبأمثاله فقط ـ تخفق البنود عالية، وتُشاد الدول قوية راسخة، وتشق العقائد طريقها لتصل بأصحابها إلى الأهداف الشريفة السامية.

لقد كان بوسع هذا الشاب لو كان من غير طرازه، نعم لقد كان بوسعه لو كان من طراز الشباب العقدي الذي يشرح اليوم نواحي عقائده التقدمية على صخب كاسات الخمر وضحكات الغانيات في الحانات، ويهذي عن اضطلاعه بمسؤولية تحرير الأمة وحماية الشعب.. وهل من يستوحي أفكاره ويستمد شجاعته من كحول الويسكي والشمبانيا، يمكن أن تتحرر على يديه أمة أو تنتصر به عقيدة، أو تستقر في ظل سلطانه أمة؟

نعم لو كان الشاب المؤمن حنظلة ﷺ من طراز هذا الشاب الضائع المائع المغرور ـ شباب الملذات ـ لاستطاع أن يجعل من يوم عرسه أجازة قصيرة يعفي نفسه فيها من القتال لينعم بعروسه، لاسيما أنها أول ليالي عرسه.

ولكنه الإيمان الصادق بالعقيدة الصادقة، لا الجعجعة الفارغة بالوسوسة المبهمة المسماة بالعقيدة المتحررة.. الإيمان الصادق الذي لا تستطيع الوقوف في وجهه أية عاطفة مهما كانت لتثني صاحبه عن عزمه، هو الذي جعل حنظلة ﷺ الشاب المؤمن الباسل يمضي لسبيله ويقضي نحبه شهيدًا بطلًا صادقًا، موفيًّا لله بما عاهده عليه، فيظفر بأجازة أبدية يقضيها في سماء الخلود مع الصديقين الشهداء: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

لذا فهو يستحق أن تحتفل به الملائكة وتغسله كما قال النبي ﷺ: **إِنَّ صَاحِبَكُمْ ـ يَعْنِي حَنْظَلَةَ ـ لَتُغَسِّلَهُ الْمَلَائِكَةُ. فَسْأَلُوا أَهْلَهُ مَا شَأْنُهُ؟** فَسُئِلَتْ صَاحِبَتُهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ وَهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الهَاتِفَةَ ـ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ الهَائِعَةُ.

فرحم الله غسيل الملائكة حنظلة الشهيد البطل، ورزق الله أمتنا الإسلامية شبابًا من أمثاله وعلى مستوى يقينه ورجولته». [**غزو أُحد لباشميل ١٤٧-١٤٨**].

وتحت عنوان: **مثل من تعظيم الشهادة والشوق إليها: خبر حنظلة بن أبي عامر** ﷺ يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مواقف وعبر منها:

الأول: في تعلُّق جميلة بنت عبد الله بن أبي بحنظلة بن أبي عامر ﷺ حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظيَّة لدى الخُطَّاب، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولدًا يُنسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح باستقامته أولًا ثم بما ترجوه من نيله الشهادة.

ولقد حصل لها ما أمَّلت به فحملت منه وولدت ولدًا ذكرًا سُمِّي عبد الله، وكان له ذكرٌ بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفتخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

وهكذا نجد ارتفاع مستوى الصحابة ﷺ في النظر إلى رفعة الدين والعلو في الآخرة واعتبار الأمور الدنيوية أمورًا ثانوية خاضعة لأمر الدين.

الثاني: في شوق حنظلة ﷺ القوي إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غُسل الجنابة حيث اعتبر أن ذلك مما يعوقه عن الجهاد.

والذي يغلب على الظن أن امرأته قد أخبرته برؤياها، وأنها قد جعلت من تلك الرؤيا مسوغًا لإقناعه باللبث معها ذلك الوقت رجاء أن تَعْلَق منه بابن ينسب لذلك الشهيد الصالح، إذ أنه يبعد أن تخبر بتلك

الرؤيا الأباعد ولا تخبر بها زوجها، خصوصًا وأن رجاء الشهادة كان هدفًا ساميًا ومقصدًا عاليًا عند الصحابة ﷺ، فيكون إسراعه بالخروج مع علمه بتلك الرؤيا شاهدًا على قوة إيمانه ورسوخ يقينه، وتكون استجابته لها لتغليب هذا المقصد السامي ليكون له عقب يرجو صلاحه ودعاءه الصالح لا لمجرد قضاء شهوة لا تخطر له على بال في الغالب وقد نزل بالمسلمين ما نزل.

الثالث: موقف جهادي كبير حينما تصدى حنظلة ﷺ لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب، والقائد غالبًا يكون حوله ما يحميه، وهو فارس وحنظلة راجل، ولقد كاد أن يقضي عليه لولا معاجلة الأسود بن شعوب له بطعنة من خلفه ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا؛ لينال حنظلة ﷺ الشهادة، وليبقى أبو سفيان على قيد الحياة حتى يوفقه الله تعالى للإسلام بعد ذلك.

الرابع: عبرة عظيمة في نزول الملائكة ـ عليهم السلام ـ لتغسيل حنظلة ﷺ بمياه المزن في صحاف الفضة فإن هذا الخبر يدل على عظمة المؤمن ومنزلته العالية عند الله تعالى، حيث أمر ـ جلَّ وعلا ـ ملائكته بالنزول لتطهير حنظلة لتصعد روحه إلى الملأ الأعلى وجسمه طاهر.

الخامس: في إخبار النبي ﷺ الصحابة بذلك معجزة بالغة حيث لم ير الصحابة الملائكة وما قاموا به من تغسيل حنظلة، فرؤية النبي ﷺ ذلك من المعجزات النبوية». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٨-١٣٠].

٢٤ ـ مثل من أثر الجهاد في الإيمان: إسلام الأصيرم ﷺ وجهاده:

يقول د/ الحميدي: «في هذا الخبر مثل واضح على أثر الجهاد في الإيمان بالله تعالى، فهذا الأصيرم عمرو بن ثابت الأشهلي ﷺ كان قبل يوم أُحد مُنكِرًا للإسلام مباعدًا لقومه من المسلمين، فلما حضر ما حضر من غزو الكفار للمسلمين في بلادهم، لا طمعًا في بلادهم وأموالهم وإنما فقط ليصرفوهم عن دينهم عظُم هذا الدين في نظر الأصيرم ﷺ فدخل قلبه الإسلام، وكان إيمانه قويًّا إلى الحد الذي حمله على المشاركة في الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، فلحق بقومه في أُحُد وقاتل الأعداء حتى استشهد ﷺ.

لقد كان في حسِّ الأصيرم ﷺ وأمثاله أن دينًا يحمل معتنقيه على التضحية بالأنفس والأموال من أجله، ويحمل أعداءه على تجييش الجيوش من أجل القضاء عليه، أنه دين عظيم في غاية الجلال والعظمة، وإن أدنى ذلك أن يسارع المقتنعون بعظمته إلى اعتناقه، ثم أن يبذلوا وسعهم وطاقتهم في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٤].

٢٥ ـ مصعب بن عمير ﷺ والتحوُّل الإيماني:

يقول د/ أبو خليل: «رحم الله مصعبًا ﷺ، فلو لم يجد منتهى السعادة الروحية في إسلامه، وغاية السرور في إيمانه، مع كامل الصفاء القلبي في صحبة رسول الله ﷺ، لما انقلب وتحوَّل هذا التحوُّل الجذري في حياته وسلوكه.

ما أعظم هذه العيِّنة من الرجال، وما أرقى تربيتهم التي رباهم عليها رسول الله ﷺ.

لقد رفع مصعب ﷺ لواء المسلمين في أُحد، وما وصل وارتقى إلى هذا المقام، إلا بعد أن تزكت روحه، وعشقت ربها، واستنار قلبه بنور الله ﷻ، فأنكر ذاته، وعاش لعقيدته، واستشهد من أجلها.

وسيبقى مصعب ﷺ في تاريخنا من الخالدين، مع الشخصيات الجليلة، والنفوس النبيلة، والأعلام العظام». [غزوة أُحد لأبي خليل ٥٩-٦٠].

ويقول الشيخ الصوياني: «مصعب بن عمير ﷺ، الذي خرج من ثروته وزينته ليلحق برسول الله ﷺ، مصعب ﷺ الذي خرج من مكة وحيدًا ليثقف جيلًا من أجيال المدينة، مصعب ﷺ الذي خرج من المدينة نحو أُحُد، لا يملك من الدنيا إلَّا سيفه ورداءه، وقرآنًا يملأ صدره ويغنيه عما يراه من حطام الدنيا، سقط مصعب ﷺ على أرض أُحُد، تبكيه المدينة ومكة، ويبكيه **عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ** ﷺ بعد مدة، والطعام بين يديه، فيقول عندما شاهد الطعام وكان صائمًا: «**قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ**». [البخاري في الجنائز (١٢٧٥، ١٢٧٥)، وفي المغازي (٤٠٤٥)].

وتذكَّره أيضًا رفيق دربه وعذابه خَبَّابُ بنُ الأَرَتِّ ﷺ فقال: «**هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ [نَلتَمِسُ] وَجْهَ الله، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَضَى [مَاتَ] لَمْ يَأْخُذْ [يَأْكُل] مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا** [1]، **مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ** ﷺ، **قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً [فَلَمْ نَجِدْ مَا نُكَفِّنُهُ إِلَّا بُرْدَةً]، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ [خَرَجَتْ] رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا [خَرَجَ] رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ [الإِذْخِر]** (نبات معروف زكي الريح، وإذا جف ابيض) ، **وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ** (أينع الثمر: إذا نضج وأدرك)، **فَهُوَ يَهْدِبُهَا** (يقطعها ويجتنيها)». [البخاري في المناقب (٣٨٩٧، ٣٩١٤)، وفي المغازي (٤٠٤٧، ٤٠٨٢)، وفي الجنائز (١٢٧٦)، وفي الرقاق (٦٤٣٢، ٦٤٤٨)، ومسلم في الجنائز (٩٤٠)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٦)، وفي الجنائز (٣١٥٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٣)، والنسائي في الجنائز (١٩٠٣)، وأحمد عن خباب ﷺ (٢٠٥٥٤)].

رضي الله عن مصعب ﷺ، ما أعظمه، سافر والدموع من حوله، بعد أن ملأ الصدور والنفوس علمًا وحبًّا ، نالت منه سيوف الشرك وهو يدافع عن دينه وعن نبيه ﷺ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ أُحُدٍ مَرَّ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ وَهُوَ مَقْتُولٌ عَلَى طَرِيقِهِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَدَعَا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ

(١) كناية عن الغنائم التي تناولها من أدرك زمن الفتوح، وكأن المراد بالأجر ثمرته، فليس مقصورًا على أجر الآخرة. فتح الباري ٣/ ١٤٢.

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُهَدَاءُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأْتُوهُمْ وَزُورُوهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا رُدُّوا عَلَيْهِ**». [المستدرك على الصحيحين في التفسير ٢/ ٢٧١ رقم ٢٩٧٧، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الصوياني: سنده حسن. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ص ٢٧٨].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: لَـمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ مَرَّ عَلَى مُصْعَبِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ مَقْتُولًا عَلَى طَرِيقِهِ، فَقَرَأَ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]. [المستدرك في معرفة الصحابة ﷺ ٣/ ٢٢١ رقم ٤٩٠٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي].

[السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢١٩-٢٢٠].

٢٦ ـ ضرار بن الخطاب ﷺ يصف شجاعة الأنصار ﷺ:

يقول د/ الحميدي: «هذا الخبر فيه وصف لحال المسلمين مع أعدائهم من بداية المعركة حتى حصلت الإصابة على المسلمين.

وفيه ثناء واضح على الأنصار ﷺ بالشجاعة والثبات من رجل كان مع الكافرين، وأثخن في المسلمين بعد إصابتهم، ثم هداه الله تعالى للإسلام، فسجل في هذا الخبر موقف المسلمين الثابت وخاصة الأنصار منهم، الذين كانوا مقصد الكفار بعد رسول الله ﷺ لكون الأنصار هم أكثر من قَتل المشركين يوم بدر.

وكون المسلمين يثبتون وهم مشاة لأعدائهم وهم فرسان مع تفوق المشركين كثيرًا في العدد يبين لنا شجاعة المسلمين العالية وإقدامهم على بذل أرواحهم في سبيل الله تعالى.

ونجد في نهاية الخبر شعور المسلم الموقن حيث يحمد ضرار بن الخطاب ﷺ ربه تعالى على أن أبقاه حيًّا حتى دخل في الإسلام، وحيث عبَّر عن قتل الشهداء بأنه إكرام من الله تعالى لهم، وعن قتل الكفار بأنه إهانة منه تعالى لهم». [التاريخ الإسلامي للحميدي٥/ ١٦٥-١٦٦].

٢٧ ـ أنس بن النضر ﷺ ممن أخلصهم الله له يجيبهم إذا أقسموا عليه:

يقول الشيخ عرجون: «وكان أنس بن النضر ـ نضر الله وجهه ـ إلى جانب شجاعته الخارقة وبطولته الفدائية الصادقة راسخ الإيمان رسوخًا عميقًا جعل معرفته بالله تعالى معرفة شهودية، يشهد بها فضل الله تجري به مقاديره، كأنما يجري فيها مع هذه المقادير في فجاج الغيب، وقد رزقه الله تعالى بهذا الإيمان ثقة في الله تعالى واعتصامًا به، بلغا به مقام المقسمين على الله فيجيبهم إلى مطلوبهم.

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: إِنَّ أُخْتَهُ ـ أَيْ أُخْتُ أَنَسٍ بنِ النَّضْرِ ﷺ، وَهِيَ تُسَمَّى الرُّبَيِّعَ ـ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ امْرَأَةٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا،

فَرَضُوا بِالأَرْشِ وَتَرَكُوا القِصَاصَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ الله مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ**».

[البخاري في الصلح (٢٧٠٣)، ومسلم في القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٥)، وأبو داود في الديات (٤٥٩٥)، والنسائي في القسامة (٤٧٥٥ -٤٧٥٧)، وابن ماجه في الديات (٢٦٤٩)].

وذكر ابن إسحاق أن أنس بن النضر ﷺ، جاء إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: **قُتل رسول الله ﷺ**، قال: **فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ**، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل ﷺ.

هذا اللون من رسوخ الإيمان وثبات اليقين اللَّذين تحدَّث بهما التاريخ الإسلامي عن هذا البطل هو الذي ارتفع بالمجتمع المسلم إلى منزلة قيادة الإنسانية إلى آفاق حضارة الإيمان بالله وإخلاص الدين كله له، حتى تبوأ هذا المجتمع الذروة في إصلاح الحياة وتطهيرها من أوضار الجاهليات الضالة الظالمة، وهو الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وهذه البطولة التي ترى بعين الشهود أن الموت ـ استشهادًا في سبيل الله لإعلاء كلمته ـ إنما هو تجديد للحياة في دار الخلود، والنعيم المقيم».

[محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٥٩٣-٥٩٤].

٢٨ ـ إسلام مخيريق ﷺ وجهاده:

يقول د/ الحميدي: «في إسلام مخيريق ﷺ أحد علماء اليهود، وإنفاقه جميع ماله في سبيل الله تعالى، وجهاده مع المسلمين واستشهاده، مواقف عالية من هذا العالم الحَبْر تتابعت كلها في يوم واحد، فقد كان يعلم أن رسول الله ﷺ هو الرسول الذي بَشَّر به أنبياؤهم وأمروهم بالإيمان به ونصره إذا ظهر، وقد تيقظ ضميره يوم أُحُد وتذكَّر وجوب نَصر النبي ﷺ الذي تكالب عليه أهل الباطل، فكان ذلك دافعًا له إلى إعلان إسلامه.

ومثل هذا العالم يكون عادة مترددًا بين قناعته بصدق دعوة النبي ﷺ ووجوب اتباعه وبين مداراة قومه الذين كفروا به وناصبوه العداء، ويكون الفكر المهيمن على هذا وأمثاله هو تأجيل البَتِّ في الأمر رجاء أن يقتنع علماء قومه بالإسلام فيدخل معهم ويجمع بين إرضاء ضميره وإرضاء قومه.

ولكن نزول ذلك البلاء بالمسلمين واحتياجهم الشديد للنصرة عجل بموضوع البت في القضية فأعلن مخيريق إسلامه أمام قومه وأمرهم بذلك.

ولقد كان إسلام هذا الرجل إسلام العالِم الموقن فلم يكْتَف بمجرد الإسلام، وإنما قام بإنفاق جميع أمواله في سبيل الله تعالى، والمال من أعز المحبوبات لدى الإنسان، فالخروج من المال دليل على قوة الإيمان بهذا الدين الذي خرج من أمواله في سبيله.

ثم لم يكتف بذلك وإنما خرج بنفسه للجهاد في سبيل الله تعالى، وهذا دليل على ارتفاع مستوى الإيمان عنده حيث حمله على بذل نفسه بعد ماله في سبيل الله جل وعلا، ولقد أكرمه الله تعالى بالشهادة في ذلك اليوم فنال أجرًا عظيمًا في وقت قصير جدًّا». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٢٥-١٢٦].

٢٩ ـ موقف جليل في ثبات عبد الله بن جبير وأصحابه ﷺ:

يقول د/ الحميدي: «في هذين الخبرين بيان ثبات أمير الرماة عبد الله بن جبير ﷺ هو ومن بقي من الرماة، وكانوا كما جاء في رواية خوات بن جبير عشرة، ولقد حاول عبد الله ﷺ جهده منع خيل المشركين من الاقتحام على المسلمين فنشر أصحابه في طريقهم، ولكنهم كانوا أقل من أن يقفوا في وجه أولئك الفرسان، فدخلوا معهم في معركة غير متكافئة كانت نتيجتها القضاء على أولئك الرماة والانطلاق نحو جيش المسلمين». [التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٣٢].

٣٠ ـ الشهيد الذي يمشي على الأرض:

يقول الشيخ الصوياني: «شاب اسمه رافع بن خديج.. شهيد.. لكنه يعيش بين الناس يأكل معهم ويشرب ويصلي ويصوم، بل ويجاهد في معارك أخرى في هذه الدنيا، مع أنه من شهداء أحد، كيف ذلك؟

عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي جَدَّتِي يَعْنِي امْرَأَةَ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قَالَ عَفَّانُ: عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ امْرَأَةِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، أَنَّ رَافِعًا رُمِيَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، أو يَوْمَ خَيْبَرَ ـ قَالَ: أَنَا أَشُكُّ ـ بِسَهْمٍ فِي ثَنْدُوَتِهِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، انْزِعِ السَّهْمَ، قَالَ: «**يَا رَافِعُ، إِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَالْقُطْبَةَ** (نصل السهم) **جَمِيعًا، وَإِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَتَرَكْتُ الْقُطْبَةَ، وَشَهِدْتُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، بَلْ انْزِعِ السَّهْمَ وَدَعِ الْقُطْبَةَ، وَاشْهَدْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي شَهِيدٌ، قَالَ: فَنَزَعَ رَسُولُ الله ﷺ السَّهْمَ وَتَرَكَ الْقُطْبَةَ، [فَعَاشَ بِهَا حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ ﷺ، فَانْتَقَضَ بِهِ الْجُرْحُ، فَمَاتَ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَأَتَى ابْنُ عُمَرَ ﷺ فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَاتَ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنَّ مِثْلَ رَافِعٍ لَا يُخْرَجُ بِهِ حَتَّى يُؤْذَنَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقُرَى، فَلَمَّا خَرَجْنَا بِجَنَازَتِهِ، فَصُلِّيَ عَلَيْهِ، جَاءَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ حَتَّى جَلَسَ عَلَى رَأْسِ الْقَبْرِ، فَصَرَخَتْ مَوْلَاةٌ لَنَا فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: مَا لِلسَّفِيهَةِ مِنْ أَحَدٍ لَا تُؤْذِي الشَّيْخَ، فَإِنَّهُ لَا يَدِينُ لَهُ بِعَذَابِ الله. [مسند أحمد ٤٥/ ٩٧ رقم ٢٧١٢٨، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، والمعجم الكبير للطبراني ٤/ ٢٣٩ رقم ٤٢٤٢].

لقد مات ﷺ حاملًا شهادته على ثندوته، على صدره». [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٢٨].

٣١ ـ ما سر حفاوة الله بوالد جابر ﷺ؟:

يقول الشيخ الصوياني: «كان الجو مشحونًا بالحزن، ليس هناك أقسى ولا أكثر دموعًا وانتحابًا من لحظات الدفن ومغادرة القبر والأحباب تحت التراب، لحظات كان فيها جابر ﷺ حزنًا ودموعًا، لكن الله

أنزل ما يخفف حزنه، فالتفت ﷺ إلى جابر المجروح ﷺ وقال له: «**يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟**»، قُلتُ: **يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا**، قَالَ: «**أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟**»، قَالَ: قُلتُ: **بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ**، قَالَ: «**مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا** (مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول)، **فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً**، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: «**إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ**»، [قَالَ: **يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي**]، قَالَ: وَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩].

[الترمذي في التفسير (٣٠١٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠)، وفي الجهاد (٢٨٠٠)، وقال الشيخ الألباني: حسن].

فرح جابر بهذه البشرى، فرح بحفاوة الرب الكريم بأبيه، فخفَّفت البشرى كثيرًا من أحزانه، لكن: ما سرُّ هذا الشيخ المحلِّق في النعيم، إنه لم يقاتل كما قاتل حمزة ﷺ، ولم تمزقه الطعنات كما مزقت أنس بن النضر ﷺ، لقد شرب الخمر ـ وهو لا يزال مباحًا ـ ثم انصرف إلى المعركة، فكان أول من سقط من الشهداء، ومع ذلك يلقى كل هذا الفيض الغامر من النعيم؟!

ليس هكذا يُنْظَرَ إلى والد جابر ﷺ، دعونا نتأمل عالم هذا الشيخ من كل زواياه، دعونا نجعل أنفسنا مكانه، إن هذا الشيخ الكبير لم يحارب عن اثنين كما فعل سعد ﷺ في بدر، ولم يحارب بسيفين كحمزة ﷺ.

لكنه كان يحارب في معركتين شرستين، إحداهما على أرض أُحُد، أما الثانية فكانت ساحتها داخل أعماقه وبين حناياه، وهي معركة أكثر ضراوة وقسوة، إنها معركة مع الذات، مع الدنيا، مع عواطف الأبوة الجياشة التي تتغلغل في أعماقها تسع بنات مسكينات، والدنيا، كل الدنيا، تعلم أن الشيخ أكثر حنانًا وعطفًا علي بنيه منه وهو شاب، والدنيا، كل الدنيا تعرف للبنات رحمة لا تعادل في قلوب الآباء، فكيف إذ كنَّ تسع بنات يترصَّد لهن اليتم والفقر، إن عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ ينتزع نفسه من بين بناته، من بين أبوته وأحزانه ليتجه بها نحو الجنة، نحو الله، فحب الله متشعب في كل خلاياه ومشاعره، وهو بحاجة إلى الله أكثر من حاجة بناته إليه، هكذا نتأمل هذا الشيخ، وهذه الطريقة نتحسس بعض سره وسر حفاوة الله به.

والد جابر ﷺ ورفاقه الآن أحياء عند ربهم يرزقون، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران: ١٦٩].

سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآية، عن تلك الحياة الفسيحة التي ينعم بها الشهداء، وعن ذلك الكرم الإلهي المدهش، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ،

فَقَالَ ﷺ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلكَ القَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ [تَسْتَزِيدُونَ] شَيْئًا [فَأَزِيدُكُمْ]، قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي [رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ] وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنْ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

وفي رواية عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: «وَتُقْرِئُ نَبِيَّنَا السَّلَامَ، وَتُخْبِرُهُ عَنَّا أَنَّا قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا». [مسلم في الإمارة (١٨٨٧)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠١١)، والدارمي في الجهاد (٢٤٥٤)].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ [وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِمْ]، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ؛ [يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا صَنَعَ اللهُ لَنَا] لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران]».

[أبو داود في الجهاد (٢٥٢٠)، ومسند أحمد ٤/ ٢١٨ رقم ٢٣٨٨، وحسنه الشيخان الألباني والأرناؤوط، والمستدرك على الصحيحين في الجهاد ٢/ ٩٧ رقم ٢٤٤٤، في التفسير ٢/ ٣٢٥ رقم ٣١٦٥، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٠٥].

وعَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ». [الترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤١)، وقال الشيخ الألباني : صحيح].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ كَعْبًا الْوَفَاةُ أَتَتْهُ أُمُّ بِشْرِ بِنْتُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنْ لَقِيتَ فُلَانًا، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ مِنِّي السَّلَامَ، قَالَ: غَفَرَ اللهُ لَكِ يَا أُمَّ بِشْرٍ نَحْنُ أَشْغَلُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَعْلُقُ بِشَجَرِ الجَنَّةِ» قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَهُوَ ذَاكَ.

[ابن ماجه في ما جاء في الجنائز (١٤٤٩)، وقال الشيخ الألباني : ضعيف].

زخَّات من النعيم أمطرتها تلك الكلمات على قلوب أصحاب النبي ﷺ، فحفرت فيها الأخاديد والشقوق، حسرة على ما فاتهم في هذا اليوم من لذة الحديث إلى أحب حبيب، لذة الاستماع إلى الله.

إن الإنسان ليعرف من حال العاشق حالة من الذهول عن كل ما يحيط به عند لقاء المحبوب، فليت شعري من يصف مشاعر من يتحدث إلى أحب حبيب وأعظم محبوب؟

تمنى فرسان أحد وهم يغادرون تلك المقابر الطيبة، تمنوا لو كانوا فيها، بين أولئك المسافرين في النعيم.

وتمنى ﷺ لو كان مجندلًا على أرض أحد لينعم بلقاء اليوم، تحدث ﷺ بذلك وباح به لأصحابه، فازداد شوقهم وحنينهم إلى الله وإلى الجنة، وإلى هذا الحبيب الذي يبوح بمشاعره، ويقول: «**أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ** (١) **مَعَ أَصْحَابِ نُحْصِ الجَبَلِ**»، يَعْنِي: سَفْحَ الْجَبَلِ، يَقُولُ: «قُتِلْتُ مَعَهُمْ».

[مسند أحمد ٢٣/ ٢٦٩-٢٧٠ رقم ١٥٠٢٥، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده حسن، ومجمع الزوائد رقم ١٠١١٩، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع. وقال الشيخ العلي: فالحديث بذلك صحيح. صحيح السيرة النبوية للعلي ص ٢٣٤، و المستدرك في الجهاد (٢٤٠٧)، وفي المغازي والسرايا (٤٣١٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي]. [السيرة النبوية للصوياني ٢/ ٢٥١-٢٥٤].

٣٢ ـ المرأة والغزو الفكري:

يقول د/ أبو فارس: «لقد تعرض العالم الإسلامي في القرن التاسع والقرن العشرين إلى غزو فكري وغزو عسكري، ولقد كان الغزو الفكري أخطر بكثير من الغزو العسكري بل هو يمهد للغزو العسكري ويطيل بقاءه وينفذ أهدافه.

نعم إن الغزو العسكري يدركه كل الناس على اختلاف مستوياتهم الفكرية والعلمية، يدركه الجاهل والعالم، الأمي والمتعلم، فإن وجود القوات الغازية على أرض الوطن لا تحتاج إلى كبير فهم لإدراكها، أما الغزو الفكري فهو غير مرئي ولا محسوس إذا لا وجود يراه الناس بأعينهم ويسمعونه بآذانهم ويعانون من بطشه وأذاه.

والغزو الفكري يعمر كثيرًا أكثر من الغزو العسكري، فقد تنسحب جيوش الأعداء من البلاد المحتلة ويبقى الغزو الفكري عشرات السنين محتلًا لعقول الناس وعاداتهم وقلوبهم.

والغزو الفكري يجند له كثير من سكان البلاد، وهؤلاء الجنود قد لا تظهر حقيقتهم للناس، بخلاف الذي يخدم مع قوات الاحتلال العسكري، إن هؤلاء التلاميذ العملاء الأذناب في الغزو الفكري يحققون سياسة الأعداء وتخدع بهم الجماهير؛ لأنهم منهم ويتكلمون بلغتهم ويعيشون معهم.

إن هذا الغزو الفكري يستهدف إلى تشكيك المؤمنين في دينهم وتاريخهم ورسولهم وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ ليخلصوا إلى نتيجة قبيحة هي انسلاخ الأمة من دينها وعقيدتها وتاريخها والتنكر لأبطالها، والرضا بالأوضاع الآسنة التي صنعها أعداء هذه الأمة وأرادوا أن تترسخ فيها عادات وأعراف وقيم وأخلاق غير القيم والأخلاق الإسلامية.

---

(١) **أني غودرت**: من المغادرة، وهي الترك، أي: ليتني تُركت مع قتلى أحد، وأُبقيت فيهم، أي: ليتني استشهدت معهم، وفي النهاية٣/ ٣٤٣: المراد قتلى أحد أو غيرهم. وهو خلاف ظاهر الرواية كما لا يخفى. وفيه دلالة على زيادة شرف شهداء أحد من بين الشهداء، والله تعالى أعلم . مسند أحمد ٢٣/ ٢٧٠.

ومما يعرضه هؤلاء الغزاة الفكريون ليشككوا به الناس والمرأة بالذات قولهم: إن الإسلام قهر المرأة وكبتها وحكم عليها أن تعيش بين أربعة جدران لا تسهم في مجتمعها ولا تدافع عن أرضها وعرضها ومقدساتها، فهل حقًّا ما يُقال: إن الإسلام حرم المرأة من المشاركة في بناء المجتمع والإسهام في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والعسكرية؟

وحتى لا نستطرد نحدد الحديث عن موقف الإسلام من خلال سيرة الرسول ﷺ العسكرية من مشاركة المرأة في الغزو وإسهامها في الأمور العسكرية فنقول وبالله التوفيق وعليه الاتكال:

إن الإسلام قد فرض القتال الهجومي لنشر الدعوة الإسلامية وتحطيم الأنظمة السياسية المناوئة للإسلام والمعادية له على الرجال دون النساء، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

وفي هذه الظروف يكون القتال فرض كفاية على الرجال دون النساء، إذًا لا تأثم المرأة المسلمة إذا لم تخرج تقاتل لنشر الإسلام؛ لأن إلزام النساء بالقتال يرهقهن ويكلفهن مالا يطقن وإنما التكليف في حدود الوسع والطاقة، وترك لها الحرية في المشاركة في ذلك، فلقد أباح الشرع الإسلامي في هذه الظروف للمرأة المسلمة أن تخرج مع الغزاة، ورتب لها الأجر على كل جهد تقوم به، سواء كان بسقي المقاتلين أو بتضميد الجرحى أو بنقل القتلى.

وفي سيرة رسول الله ﷺ شواهد كثيرة على مشاركة المرأة في الجهاد والغزو ومساعدة المقاتلين والجرحى.

ففي الهجرة حشد الطاقات من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة من أجل بناء المجتمع الإسلامي والكيان السياسي والدولة الإسلامية، وكان للمرأة المسلمة دور، إذ كانت أسماء رضي الله عنها تقوم بتزويد رسول الله ﷺ ومن معه في الغار بالماء والغذاء، وتحملت أم سلمة رضي الله عنها العنت والمشقة من أجل الهجرة وحشد الطاقات في المدينة المنورة.

وفي غزو أحد شاركت المرأة في المعركة، فلقد شاركت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ونساء صحابيات في نقل الماء إلى المقاتلين، وسقيهم، كما سبق بيانه في عرض الغزوة.

ومن النساء اللواتي خرجن يوم أحد أيضًا أم سلمة، وأم سليم سهلة بنت ملحان، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية، وحمنة بنت جحش، وأم أيمن، وأم سليط، رضي الله عنهن جميعًا، وأم سليط هذه قدمها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زوجه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب جهادها في أحد، فقد أشار عليه بعض الصحابة أن يعطي قرطًا جيدًا لزوجه أم كلثوم فأبى، وقال: أم سليط أحق به منها، فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد.

ولم يقف عمل المرأة وجهادها في غزوة أحد وغيرها عند سقي المحاربين وتضميد الجرحى، بل امتشقت الحسام، وجالدت الأبطال من الرجال يوم أن اقتضى الحال ذلك؛ دفاعًا عن رسول الله ﷺ، وتعرضت لأعتى هجمات المشركين، وأشرس أبطالهم كابن قميئه، فكانت طودًا أشمًّا في ثباتها على الرغم مما أصابها من الضربات القوية التي أحدث بعضها أخدودًا بعيد الغور في عاتقها.

وكان رسول الله ﷺ يراها وهي تجابه الرجال، وتقاتلهم في أحلك الظروف وأصعبها، وأحرج ساعات القتال، لا تبالي بالموت ولا تعبأ به، فأقرها رسول الله ﷺ ولم ينكر عليها، بل شجعها ودعا لها ولولدها.

وقد حدثنا رسول الله ﷺ عن جهاد أم عمارة في أحد فقال: «**مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا يَوْمَ أُحُدٍ إِلَّا وَأَنَا أَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي**». [شرح المواهب ٢/ ٤١-٤٢].

وكان الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يكرمانها في خلافتيهما لجهادها [صحيح البخاري متن فتح الباري ٨/ ٣٦٩]». [المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس ٢٤٤-٢٤٧].

٣٣ ـ توقيرنا للصحابة رضوان الله عليهم:

يقول د/ الزيد: «نستفيد من الآية [آل عمران/ ١٥٢] فائدة مهمة عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ فإن المسلم عندما يقرأ غزوة أحد، وما جرى فيها من أحداث يجب عليه أن لا يؤثر ذلك في محبة وتوقير الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ لأن ما جرى في ذلك الموقف العصيب قد انتهى بالعفو من الله عنهم بنص القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾، فما حصل انتهى وبقي لنا نحن فقط الدرس والعظة والعبرة، أمَّا أن يتحدث متحدث يريد الانتقاص من مقام أصحاب رسول الله ﷺ فيُرَدُّ عليه بالآية، فعلينا أن نحفظ مكانة صحابة رسول الله ﷺ في قلوبنا ونعرف ما لهم من حق الترضِّي والمحبة والتوقير والاحترام، ولذلك الموقف موقف مشابه، فإن آدم عليه السلام أُخرج من الجنة ولكن الله تعالى تاب عليه واجتباه، فانتهى ما حصل منه عليه السلام وبقي علينا أن نحذر إغواء الشيطان وتزيينه».

[فقه السيرة للزيد ٤٥٩-٤٦٠].

٣٤ ـ ما الفرق بين معصية ابن سلول ومَنْ معه، ومعصية الرماة؟:

يقول أ/ عبَّاد: «حينما عصى عبد الله بن أُبي بن سلول ومن معه وتمردوا وتركوا جيش المسلمين بمنطقة الشوط وعادوا إلى المدينة حكم الله عليهم بالنفاق بقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ﴾[آل عمران: ١٦٧].

أما الرماة فقد حكم الله عليهم بالمعصية بقوله: ﴿... حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾[آل عمران].

والفرق بين الاثنين أن معصية ابن سلول وضح فيها ما يلي:

(١) أنهم خالفوا إجماع الصحابة حيث إن قرار الخروج لمقاتلة العدو جاء بعد تشاور حتى أُقر بالإجماع.

(٢) أطاعوا في بداية الأمر وساروا مع الجيش حتى إذا كانوا على مرأى ومسمع من العدو تمردوا؛ مما يؤكد أن هدفهم هو إحداث بلبلة واضطراب في صفوف الجيش لصالح الأعداء.

(٣) دوافع المخالفة كانت من قبيل المكابرة حيث قال ابن سلول: **(لقد عصاني وأطاع الولدان)**.

(٤) أظهروا فرحهم وسرورهم بما حدث للمسلمين حتى قال عبد الله الأب لابنه: **(ما كان خروجك معه ـ أي الرسول ـ إلى هذا الوجه برأي، عصانا محمد وأطاع الولدان، والله لكأني أنظر إلى هذا)**.

أما بالنسبة لمعصية الرماة فإنها تختلف عن معصية المنافقين لما يلي:

(١) أنهم اجتهدوا في تأويل نص رسول الله ﷺ بعد يقينهم بهرب وهزيمة جيش المشركين في قولهم: **(لم يرد الرسول أن نبقى بعد انهزام المشركين)**.

(٢) أنهم أرادوا المشاركة مع إخوانهم في جمع الغنائم في قولهم: **(هؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم فادخلوا فاغتنموا مع إخوانكم ما يغتنمون)**.

(٣) القرآن وضح أنها لحظة ضعف إنساني، وقد عفا الله عنهم».

[مفاهيم تربوية من غزوة أُحد لعبَّاد ٢٠٦-٢٠٨].

٣٥ ـ الرجال الكُمَّل نفوسهم مرهفة الإحساس:

ويقول د/ الحميدي: «ولابد لنا هنا من أن نقف وقفة تأمل أمام هذا المشهد العظيم، فهذا حمزة بن عبد المطلب ﷺ عم رسول الله ﷺ يُقتل غدرًا من هذا الرجل الحبشي ويمثِّل الكفار بجسده، ويحزن عليه الرسول ﷺ حزنًا بالغًا، ومع ذلك ينطلق قاتله ليعيش في مكة حرًّا طليقًا لا يخشى من كيد المسلمين، ولم يخطر بباله أن رسول الله ﷺ يمكن أن يدبِّر خطة للانتقام منه؛ لأنه لم يسبق له أن فعل ذلك مع أمثاله، ولو فعله مع ذلك الرجل لم ينتطح في قتله عنزان، فهو رجل كان مملوكًا فلا قوم له بمكة ولا عشيرة، ومع ذلك فإن شيئًا من ذلك لم يحدث؛ لأن رسول الله ﷺ ـ وهو الإمام الأول للمسلمين ـ لم يكن يتصرف بدافع من الانتصار للنفس، وإنما كان يُقدم أحيانًا على تدبير المكائد للكفار إذا كانوا من الزعماء الذين يكيدون للمسلمين، فالقضاء عليهم قبل ذلك يوفر على المسلمين معارك قد تُضعف من قوتهم، أما أن يفكر في قتل رجل لا قوة له ولا عشيرة لمجرد الانتقام منه فإن ذلك لا يفيد شيئًا في نصر الإسلام ولا يوهن من كيد الكافرين.

وكون ذلك الرجل أغاظ النبي ﷺ وأحزنه صحيح، ولكن الذي يرفع هذا الحزن والغيظ هو احتساب الأجر عند الله تعالى والإيمان بأن أمَد هذه الحياة قصير، وأن هناك لقاء خالدًا في الآخرة، ورسول الله ﷺ هو أعظم من يمثل هذا المبدأ السامي.

أما قول رسول الله ﷺ لوحشي: (**فَهَل تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟**) فهذا لا يعني شيئًا من المؤاخذة والتأثيم، وإنما هو تذكير له بأن رؤيته إياه تجلب له شيئًا من المتاعب النفسية؛ لأن ذلك يذكره بتلك المصيبة العظيمة التي كان لها في نفسه أثر بالغ، فأشار عليه النبي ﷺ بأن يغيب وجهه حتى يفقد مصدر التذكير بتلك المصيبة.

إن الرجال الكُمَّل من صفاتهم أن نفوسهم مرهفة الإحساس، يتأثرون إذا أخطأ عليهم أحد خطأ كبيرًا، ولكنهم مع ذلك يكتمون مشاعر نفوسهم فلا يتصرفون إلا بما يوافق العقل السليم، وإذا أخطؤوا على غيرهم تأثروا كثيرًا وسارعوا إلى الاعتذار ومحو أثار ذلك الخطأ، ومع ذلك يبقى في نفوسهم شيء من أثر ذلك.

وإن من رحمة الله تعالى بالإنسان أنه ينسى سريعًا، فتمر عليه المصائب فلا تخلف في نفسه أثرًا بالغًا؛ لأنه ينساها ويُشغَل بما في حاضره، ولكن حينما يواجه مشهدًا من مشاهد تلك المصائب فإنه يتذكر حالًا في الغالب، فيحصل له شيء من التأثر النفسي إذا كان مرهف الإحساس.

والنبي ﷺ ـ وهو القدوة العظمى لأمته ـ لم يكتم ذلك ويصبر على تحمل الآثار النفسية كلما واجه ذلك الرجل؛ لأنه مشرع للأمة، وكلمته هذه التوجيهية تبين أن شعور الإنسان بالألم والحزن عند تذكر المصيبة لا يعني نقصًا في الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره، ولا ضعفًا في الصبر على الأذى؛ لأن ذلك أمر جبلِّي فطر الله الإنسان عليه، فلا يملك محوه في نفسه، وإنما يملك جوارحه أن تقول أو تفعل مالا يليق.

لقد كان رسول الله ﷺ إذًا يتحمل الكثير من الآلام النفسية من مواجهة عتاة الكفر الذين كانوا يواجهونه بأنواع من الأذى النفسي والجسمي ثم يرى وجوههم مع كل صباح ومساء.

ولقد ظل طويلًا يذكر ما واجهه به عتاة ثقيف حينما خرج لدعوتهم لما سألته عائشة رضي الله عنها عن أشد يوم مرَّ عليه كما سبق». [**التاريخ الإسلامي للحميدي ٥/ ١٤٠-١٤٢**].

ويقول الشيخ عرجون: «أما قول النبي ﷺ لوحشي: «**فَهَل تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ؟**»، فالمقصود به أن النبي ﷺ أراد أن لا تُحرك رؤيته وحشيًّا في نفسه ذكريات حادث القتل وما تبعه من تمثيل شنيع بشع، فتثير عنده حزازات بشرية، ربما لا يكون من المستطاع منعها ومقاومتها إلا بشيء من العسر والعنت الشديد، مما قد يشغل النبي ﷺ ويقلقه.

وقد يؤدي ذلك إلى تحريك الحزازات النفسية عند من لا يملك ثورة نفسه إذا تمثلت له أحداث قتل حمزة رضي الله عنه، وبشاعة التمثيل به إلى أن يحدث في صفوف المجتمع المسلم ما لا تُحمد عقباه من الأمور المنافية لسماحة الدعوة وتسامحها في سبيل وحدة كلمة المجتمع المسلم». [**محمد رسول الله ﷺ لعرجون ٣/ ٦٠٢-٦٠٣**].